# أشهر مشاهير الموسيقى الغربية

## قديماً وحديثاً

(مزين بالصور)

تأليف

محمود أحمد الحفني

الكتاب: أشهر مشاهير الموسيقى الغربية قديماً وحديثاً

الكاتب: محمود أحمد الحفني

الطبعة: ٢٠٢٠

الناشر: وكالة الصحافة العربية ( ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة
جمهورية مصر العربية
هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥
فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣
APA
E-mail: news@apatop.comhttp://www.apatop.com



دار الكتب المصرية
فهرسة أثناء النشر

الحفني ،أحمد ،محمود
أشهر مشاهير الموسيقى الغربية قديماً وحديثاً، تقديم: محمود أحمد الحفني
– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.
١٣٨ ص، ١٨*٢١ سم.
الترقيم الدولى: ٤ – ١٧ – ٦٨٢٣– ٩٧٧– ٩٧٨
أ – العنوان رقم الإيداع : ٩٤٨٩ / ٢٠٢٠

# أشهر مشاهير الموسيقى الغربية

# قديماً وحديثاً



"عليكم بالموسيقى فإنها أرقى الفنون"

**نابليون**

# الإهداء



لودفيغ فان بيتهوفن

Ludwig van Beethoven

إلى ملك الموسيقى. إلى فخر الفن المقدس. إلى بيتهوفن في مرقده. إلى تلك النفس العظيمة الخالدة. إلى تلك الروح الديمقراطية الحرة أتقدم بأول مؤلف لي في البلاد الألمانية– بلاده التي عاش تحت سمائها النادر صفاؤه فعاش سلفه تحت سماء من موسيقاه كلها صافية والتي أورثته الشقاء في حياته فأورثها عظمة الفن بعد موته.

**أتقدم إلى أستاذنا الأعظم بهذا المؤلف الصغير مستمداً من روحه قوة استعين بها على فهم نفسية أبطال هذا الفن وإدراك تلك العظمة التي كانت أمبر من أن تمحوها أو تحول بينها وبين الظهور نكبات دهر أو معاكسة طبيعة. والتي كانت شمسها أقوى من أن تحجبها سحب جهالة تلك العصور. هؤلاء العظماء الذين نطقوا بلسان تعرفه سائر الشعوب وناجوا العالم بلغة تتسرب إلى نفس بغير وسيط فتهذبها وتخلق فيها رقة الطبع وسلامة الذوق. تلك هي الموسيقى التي عزت بهم وعزوا بها والتي خدموها فخلدت لهم حسناتهم إلى الأبد.**

**محمود أحمد الحفني**

**يونيو سنة ١٩٢٣**

## كلمة المؤلف

الحمد لرب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

وبعد فهذا كتابنا "أشهر مشاهير الموسيقى الغربية قديماً وحديثاً" أسردنا فيه كما يدل عليه اسمه مجمل سير أبطال من اشتهر في هذا الفن في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ثم في القرن الحاضر وقد راعينا على قدر الاستطاعة أن نخرج من التعابير الفنية المحضة إلى تعابير يسهل على الجميع إدراك معناها وذلك حتى لا يقتصر نفع كتابنا هذا على فئة خاصة هم المشتغلون بالفن وغواته بل ليعم النفع فنبلغ الغرض المقصود. وقد دفعنا إلى اخراج مؤلفنا هذا ثلاث أمور.

أولها. أنه على ما لهؤلاء الأبطال من شهرة في الغرب وعلى ما أحدثوه من الانقلاب الفني في العالم وما كتب على كل منهم على حده من مئات المجلدات لا يزال أمرهم في بلادنا مجهولاً وكل ما نشر عنهم في بلادنا لا يتعدى بضع مقالات كتبها بعض حضرات الغواة في الصحف اليومية.

الثاني. أن حياة الأبطال على العموم لا تخلو دائماً من عبرة وعظة يستخلصها القارئ البعيد لنفسه فيستفيد منها في حياته الخاصة القارئ البعيد النظر لنفسه فيستفيد منها في حياته الخاصة كما يجد من ليس في مقدورهم تحليل حياة تلك الأبطال في قراءة سيرهم النادرة فكاهة وتسلية هذا فضلاً عما يستفيده الصنفان من اتساع معلوماتهم العامة.

الثالث. أن يرى حضرات القراء في الاطلاع على سير هؤلاء الأبطال أن البطل وأن ولد ومعه عبقريته واستعداده الخاص للنبوغ فهو محتاج دائماً إلى من يسهر على تلك البقرية لا سيما في عهد طفولتها فيساعدها على النمو والظهور وليس بعظيم من العظماء أن يخرج إلى العالم مصادفة بدون أن تهيأ له أسباب النبوغ.

وما قصدت من ذلك إلا أنبه حضرات القراء– إذا سمحوا لضعيف مثلي بذلك– إلى وجوب الاهتمام باستعداد أطفالهم وملاحظاتهم بدقة وحذافة حتى لا يسببون ارتباك الطفل ذات العبقرية والتشويش عليه بإلزامه دراسة ما ليس له ميل لتعليمه.

وقد رغبت ان اجمع ما بين سيرة مشاهير العصر القديم ومشاهير العصر الحديث حتى يتبين حضرات القراء الفرق العظيم بين تقدم الشعوب الاوربية وتقديرها للفن على مدى الأيام.

وقد جعلنا لمؤلفنا هذا مقدمة تشمل موجز تاريخ الموسيقى من بدء الخليقة حتى عصرنا الحديث كما ذيلناه بشرح لجميع ما جاء بالكتاب من مفردات أعجمية أو اصطلاحات فنية وذلك اتماماً للفائدة وأنا نلفت نظر حضرات القراء إلى ذلك الشرح المذيل به الكتاب.

وفقنا الله إلى ما فيه نفع بلادنا وإلى خدمة هذا الفن حتى تبلغ مصرنا ذات التاريخ الموسيقي القديم مكانتها اللائقة بها فيه آمين.

# كلمة عامة في تاريخ الموسيقى

يرجع اشتقاق لفظة الموسيقى (Musik) إلى (Muse) وهي كلمة كان يطلقها اليونانيون الأقدمون على آلهة الغناء ثم أطلقوها فيما بعد على آلهة الفنون الجميلة والعلوم.

أما تاريخ الموسيقى فهو تقديم جداً يبتدئ بابتداء العالم فقد اهتدى الانسان إلى اكتشاف الآلات التي خلقتها له الطبيعة فاستعمل الفم في الغناء واليد في التصفيق. فالفم واليد هما أقدم الآلات الموسيقية وقد اهتدى الانسان بعدهما إلى اكتشاف باقي الآلات شيئاً فشيئاً على مرور الأيام. وقبل أن نخوض في تاريخ تلك الآلات نقول إن جميع الآلات الموسيقية التي أوجدها الانسان من بدء الخليقة حتى اليوم لا تتعدى الثلاثة أقسام الاتية:

(١) آلات الضرب كالطبول والصاحات والرق.

(٢) آلات النفخ كالناي والنفير.

(٣) الآلات الوترية كالعود والقانون والبيانو.

والنوع الأول وهو آلات الضرب هو أقدم تلك الأنواع الثلاثة ويليه النوع الثاني أما الثالث وهو الآلات الوترية فهو أحدثها.

والموسيقى وان ابتدأ تاريخها منذ بدء الخليقة كما ذكرنا إلا أن المؤرخين لم يستطيعوا ضبط تاريخ معين للموسيقى وآلاتها يرتكز عليه ارتكازًا تاريخياً قبل ٤٠٠٠ ق.م. وكان ذلك عند قدماء المصريين. أوجد المصريون الاقدمون في ذلك العهد من الآلات الضاربة الطنبورة (ولا تزال تلك الآلة تستعمل عند السودانيين حتى اليوم) واستخدموا كذلك اليد للتصفيق كما أوجدوا من آلات النفخ الصفارة وكانت نوعاً صغيراً ينفخ فيه من الجنب ذات خمس ثقوب فقط وبدون مفاتيح ومصنوعة من الخشب. واوجدوا أيضاً آلة تماثل الصفارة تماماً إلا أن لها قطعة صغيرة (مزمار) للفم (كالمستعملة الان في مصر في مزمار الطبل البلدي). وأما الآلات الوترية فقد أوجدوا منها الهارب وكانوا يسمونه بالهيروغليفية تيبوني (Tebuni) ويستعمل الان في أحدث وأكبر (الاوركسترات) الأوروبية ويسمى بالألمانية Harfe وهو عبارة عن قضيب من الخشب على شكل منحن واصل بين طرفيه عدة أوتار (كانت تسعة أو عشرة) يختلف طول كل منها عن الآخر وبذلك يكون لكل منها طبعاً نغمة مخصوصة (حسب قوانين الصوت) ولهذا لم تستعمل في تلك الألة مفاتيح. ثم أوجدوا أيضاً من الآلات الوترية نوعاً من العود كانوا يسمونه بالهيروغليفية نابله ويسميه الالمان Laute وهو عبارة عن صندوق خشبي مصوت (كالمستعمل في العود المصري الأن) مركب فوقه عدة أوتار قليلة متساوية وبذلك كانوا يستخدمون تحريك الاصبع فوق الأوتار لإيجاد الأصوات المختلفة وهذا يدلنا دلالة كافية على مقدار تقدم هذا الفن عندهم.

تلك كانت آلات قدماء المصريين حوالي سنة ٤٠٠٠ ق.م. ولا نعرف عنهم في ذاك التاريخ أكثر من ذلك وإما فيما بعد فقد تعددت عندهم الآلات وكثرت.

واستخدم المصريون جميع هذه الآلات بعضها مع بعض وبذلك يسجل لهم أنهم أول من أوجد تعدد النغمات. وقد كانت تستعمل الموسيقى في الكنائس وفي الرقص وفي الولائم. وقد اكتشف المصريون القدماء السبعة نغمات الأساسية المصطلح عليها الأن بالسلم الموسيقي والمعروفة الأن تحت أسماء (دو ري مي الخ) وإذا علمنا أن تلك السبعة نغمات هي أساس الموسيقى العصرية استطعنا أن نقدر ما للمصريين من الفضل على سائر الشعوب. وكان فن الموسيقى فناً محترماً عند قدماء المصريين فقد كان الملك يستدعي المغني أو الموسيقى ليجالسه.

أتى بعد قدماء المصريين الصينيون فنقلوا جميع الآلات المصرية عنهم ثم زادوا عليها بعض الآلات كالنفير ثم أتت أشور وبابيلونيا فلم تحظ بالموسيقى خطوات تذكر وعقبهم العبرانيون فاستخدموا الموسيقى في الديانة ولم يستخدموا من الآلات غير المصرية والصينية ثم أتى اليونانيون وهنا يبتدئ العصر الذهبي لتطور الموسيقى.

نقل اليونان الاقدمون حوالي سنة ٢٠٠٠ ق.م. عن المصريين كل ما أوجدوه من الآلات الموسيقية ثم بدأوا هم يخترعون الكثير منها ويوسعون دائرة اشتراكها بعضها مع بعض مع مشاركة الغناء لها. ثم ارتقوا

بعد ذلك فلحنوا الشعر وبعض روايات مأساة صغيرة وكانت أول قطعة ضربت على الآلات مع مشاركة الغناء لها قصيدة الإلياذة المعروفة. وكان أكثر الآلات شيوعاً عندهم نوعاً اسمه Lyra وهو نوع من أنواع العود ونوعاً آخر اسمه قيثارة Kithara وهو نوع يشابه العود أيضاً وهو المسمى الأن عند الألمان Githara (يلاحظ هنا الفرق بين لفظة قيثارة الحقيقة بالمعنى الأصلي الذي قصده اليونانيون ولفظة قيثارة التي أطلقها العرب فيما بعد على احدى آلات النفخ).

وأوجد اليونانيون في ذلك العهد أيضاً آلة نفخ جديدة تقرب من الكلارينيت (Klarinette) ذات ستة عشر ثقباً وبذلك يكونون هم أول من أوجد المفاتيح في آلات النفخ وأوجدوا نوعاً من الصفارة لا ثقوب له وهذا يعطي طبعاً نغمة واحدة وقد استخدمت العرب تلك الفكرة فيما بعد فأوجدوا منها الارغول المسمى بالعامية الغاب. وأوجد اليونانيون الأورجل (Orgel). ولكن بشكل بسيط وكان يدار بواسطة الماء لا بواسطة الهواء. ثم تقدمت تلك الالة بهمة اليونانيين أيضاً بعد ذلك حوالي سنة ١٦٠٠ ق.م. واخترعوا في هذا الوقت البيانو ووضعوا أساس جميع الآلات الموسيقية الحديثة.

أتى الرومان بعد اليونان فلم يكونوا قوماً ميالين للموسيقى بل شغلتهم كثرة الفتوحات عن الاهتمام بها فلم تخط بها خطوة ما ثم أتت العرب في القرن السابع عشر قبل الميلاد فاستمدوا موسيقاهم من الموسيقى الفارسية وقسموا الطبقة الموسيقية إلى ١٧ نغمة (نغمات كاملة

وأنصاف وأرباع). وهذا التقسيم موجود للآن في مصر ولم تستعمله أوروبا للآن بل تقسيم الطبقة الموسيقية الغربية إلى ١٢ نغمة فقط وهي السبعة الأساسية والخمسة نصف النغمات وبذلك لا يوجد في الموسيقى الغربية ربع نغمة. (النغمات الأساسية هي البيضاء في البيانو والنصف الأساسية هي السوداء فيه ولا يوجد في البيانو ربع نغمة وهذا معنى اعتراض الموسيقيين الشرقيين في أن البيانو آلة غربية لا تضبط عليها الأدوار الشرقية تماماً).

قسم العرب بعد ذلك الألحان إلى أثني عشر نوعاً مختلفاً (عشاق وبياتي وصبا الخ) وهي مستعملة في مصر للآن مع زيادات ادخلتها الفرس فيما بعد والذي أوجد هذه التقسيمات هو الفارابي المعروف. وأقدم عربي كتب في الموسيقى اسمه خليل ولد في سنة ٧٧٦ ووضع كتابين في الموسيقى الأول اسمه "الضرب الموسيقي" والثاني اسمه "الألحان" (والكتابان محفوظان في دار الكتب الألمانية ببرلين ومكتوبان بالخط اليد الذي يصعب على الانسان قراءته والكتاب الأول يسمى بالألماني Rhytmen والثاني Die Tone.

وكانت آلات العرب العود والطنبورة والقانون وآلات الضرب الصاجات والرق وضمن آلاتهم الوترية الرباب. ويعترف الأوروبيون أنها نفس فكرة الكمنجة واوجدوا من آلة النفخ الناي والغاب (المستعمل كثيراً في القرى المصرية الأن).

ثم تفرع من مجموع الموسيقى الفارسية والعربية فرع جديد هو الموسيقى التركية وقد استخدم فيها من الآلات بعضها مع بعض ما يصح أن نسميه أول أوركسترا حديث. وقد استمر الألمان تلك الموسيقى فيما بعد فاستمد منها موتسارت (Mozart) قطعته المسماة Ruinen von Athen ويطلق على تلك القطعة المارش التركي واستمد منها ويبر (Weber) في أوبرته المسماة Oberon.

وبعد زوال دولة العرب من الأندلس انتقل إلى الأسبان ما كان للأندلس من الفنون فورث الاسبان موسيقى العرب وابتدأت تنتشر في فرنسا وجنوب إيطاليا وبذلك على أثر زوال ملك الاندلس بدأ تيار الموسيقى ينتشر في أوروبا من الغرب إلى الشرق. وبكثرة فتوحات الترك بعد ذلك واقترابهم من النمسا بدأ تيار آخر من الموسيقى التركية ينتشر في أوروبا أعني أن الموسيقى لم تصل إلى أوروبا إلا متأخر جداً. فاخترع في إيطاليا وفرنسا الأنواع المختلفة من الكمنجة وهي Violin, Violincell, Kontrabass وكان ذلك في القرن الثاني عشر والثالث عشر بعد الميلاد وكان حال الفن في هذا الوقت حال مبتدئ أعني أنه كان في أوربا في دور التكوين ومن هذا العهد بدئ في الجهاد في إيجاد تعدد التصويت (Harmonie).

وهكذا كان القرن الرابع عشر عبارة عن بدء تزاحم وتنافس فني بين الثلاث دول العظمى فرنسا وإيطاليا وألمانيا. واستمر هذا الجهاد بين

تلك الثلاث دول قروناً طويلة في سبيل رغبة تغلب الواحدة على الأخرى وكان موضع التزاحم ينتهي استخدام تعدد التصويت والارتقاء به.

وليسمح لي حضرات الفراء أن أشرح قليلاً المقصود بلفظة تعدد التصويت إذ هي الغرض الذي سعت في تحقيقه كل أوروبا ابتداء من القرن العاشر ولم تنجح في استخدامه إلا في أوائل القرن السادس عشر وهي التي اوجدت الفرق بين الموسيقى الشرقية والموسيقى الغربية.

يحتوي الاوركستر في الموسيقى الغربية على كثير من الآلات التي قد يتعدى عددها في بعض الأحيان المائة. تضرب كلها في آن واحد وترى تلك الآلات مقسمة منها ما يضرب من طبقة مرتفعة كالصفارة أو الكلارينيت وبعضها من الطبقة التي تليها في الانخفاض (الأوكتاف التالية) كالكمنجة وبعضها من الطبقة الثالثة وهكذا وكذلك الغنيون يغني بعضهم من الصوت الحاد المرتفع Sopran وهو في العادة صوت السيدات وآخرون صوتاً أقل في الحدة من الأول Tenor وثالثون صوتاً منخفضاً Bass وليس الأمر مقصوراً على ذلك بل إنه في الوقت نفسه تختلف ألحان الآلات بعضها عن بعض في الدور الواحد ولذلك يطلق على الآلات نمر مخصوصة كالكمنجة نمرة واحد ونمرة اثنين ونمرة ثلاثة والصفارة واحد واثنين وكلارينيت واحد واثنين وهكذا الشأن في جميع آلات الاوركستر ثم تقسم تلك الآلات إلى قسمين آلات أساسية وآلات تتبع فقط Begleitung وبذلك قد تسمع في القطعة الواحدة أكثر من أربعة ألحان أساسية مختلفة تضرب في وقت واحد خلاف عديد

الألحان البسيطة التي تضربها آلات التبع. ومجموع هذا الاختلاف في الألحان يسمى الهارمونيكا Harmonie وهذا معنى قولهم إن الموسيقى المصرية خالية من الهارموني كما أن هذا هو السر في نفور الاذن المصرية عند سماع الموسيقية الغربية لأول مرة ينقلب بعدها ذلك النفور بالتدريج إلى رغبة في مساعها وما ذلك إلا لأن الاذن في تلك الحالة تحتاج إلى تهذيب موسيقي مخصوص يمكنها من تحليل تلك الالحان المركبة.

كان الهارموني والتساند الموسيقي والتفنن فيهما هو الشغل الشاغل لجميع أوربا وأول من نجح في استخدامها بعد فشل كل من سبقه من الموسيقيين هو لوخامر (Lochamer) الموسيقي الألماني فوضع في سنة ١٤٥٢م. أول كتاب في أغاني االشعب واسمه "أغاني برلين" (Das Berliner Liederbuch) ووضع بعد تسعة سنين من هذا التاريخ كتاباً ثانياً في أغاني الشعب أيضاً سماه "أغاني ميونخ" Das Munchener Liederbuch ويوجد في هذين الكتابين من نغمة إلى ثلاثة إلى أربعة أعني أنه استعمل في مؤلفاته الهارموني ويحتوي الكتاب الأول على ستين قطعة للغناء مع مشاركة الآلات له والثاني على ٧٠ قطعة وهما مكتوبات بالخط اليد لأن المطابع لم تكن قد اخترعت بعد وبهذين الكتابين يبتدئ تاريخ أغاني الشعب الحديثة. وفي أواخر القرن الخامس عشر اخترعت المطابع فطبع أول كتاب في الموسيقى وكان ذلك في إيطاليا وضعه أوتافيانو بتروكي (Ottaviani Petrucci) في أغاني الشعب أيضاً وبه ٩٦ قطعة ذات النغمات المتعددة (أعني داخلها

الهارموني) وأول كتاب طبع في الموسيقى في ألمانيا سنة ١٥٠٧ وفي فرنسا سنة ١٥٢٧ ثم عم الطبع الموسيقي بعد ذلك سائر أوربا.

وفي سنة ١٥٣٩ وضع فورستر (Forster) الألماني كتابه الذي به ٣٨٠ قطعة من أغاني الشعب.

ولم تكشف تلك العصور عن آلات موسيقية جديدة غير آلة النفخ المسماة بالكلارينيت وبعض آلات لا تستحق الذكر.

وكان القرن الخامس عشر فاتحة زحام وتنافس موسيقي شديد بين الثلاث دول العظمى فرنسا وإيطاليا وألمانيا. فتوفقت أولاً فرنسا غير أنه لم تمكث مدة تفوقها طويلاً حيث أرسل أحد امراء إيطاليا ( Herzog Galeazzo Sforza) في سنة ١٤٧٦ فدعي ٣٠ مغنياً من فرنسا وغرضه أن يحرم منهم فرنسا وينشر بواسطتهم الفن في إيطاليا. وبنوا في نابلي مدرسة للموسيقى النظرية وهي أول مدرسة بنيت لهذا الغرض ثم بني غيرها في روما وفي كثير من بلدان إيطاليا الأخرى.

وفي نفس الوقت شدت في ألمانيا مدارس لتعليم الموسيقى غير أنها لم تكن في رقيها كالموجودة في إيطاليا وبذلك تفوقت إيطاليا على فرنسا وألمانيا في القرن السابع عشر. وإيطاليا هي التي ابتدعت نوع الاوبرا والابريتا (انظر الشرح). وأول أوبرا ظهرت وضعها بيري (Peri) الموسيقي الطلياني في سنة ١٥٩٤ ولم يوجد في تلك الأوبرا شيء من تعدد التصويت بل كانت اشبه بما يلقى في الأيام الخيرة على المسارح

المصرية من مونولوجات الزجل ثم ارتقت شيئاً فشيئاً وبدأ تيار تلحين الأوبرات ينتشر من جنوب أوربا إلى شمالها فأخذ الفرنسيون عن الطليان ثم جاء بعدهم الالمان الذين اخذوا يجاهدون باستمرار في السعي في نشر التربية الموسيقية بجميع أنواعها والارتقاء بمدارسها حتى بدأت تتغلب على الموسيقى الايطالية والفرنسية في القرن الثامن عشر وتمت لها تلك الغلبة في القرن التاسع عشر وقد ساعدها على ذلك الظفر ما رزقها الله به مما لا يمكن حصره من نوابغ هذا الفن لا سيما اقطابها الأربعة موتسارت طفل المعجزات– وبيتهوفن بطل الموسيقى في العالم– وفاجنار سيد الاوبرات– وشوبرت ملك الأغاني.

ولما كان أثر كل من نوابغ تلك الدول الثلاثة عظيم جداً فقد جعلنا هؤلاء الابطال هم وقليل غيرهم ممن اشتهروا من الدول الاوربية الأخرى موضع بحثنا في هذا الكتاب وسنتناول سير أشهر من اشتهر منهم وما تم على يديهم من خدمة هذا الفن المقدس.

## أشهر مشاهير ألمانيا

يلاحظ أننا سنتكلم تحت هذا العنوان على نوابغ الشقيقتين ألمانيا والنمسا معاً بلا مفرق بينهما إذ يعتبرا في أدبياتهما بلداً واحداً.

(١)

## جوزيف هايدان

[Joseph Haydn]

**ولد في روراو (بالنمسا) في ٣١ مارس سنة ١٧٣٢**

**وتوفي بفينا في ٢٦ مايو سنة ١٨٠٩**

**كان ماتياس والد صاحب الترجمة يقطن مدينة روراو أحد أعمال البلاد النمساوية القريبة من فينا والمجاورة للحدود المجرية وكان يحترف بالنجارة غير أنه كان موسيقياً بفطرته يوقع على آلة الهارب المسماة بالألمانية Harfe بالرغم من عدم أخذ درس ما في الموسيقى وبالرغم من أنه زل طول حياته جاهلاً بقراءة النوتة الموسيقية وكان دائماً يوقع على هاربه في أيام الأحاد وأيام فراغه من العمل وقد رزقه الله زوجة ذات صوت حسن ساعدته على أن يعيش سعيداً. رزق الزوجان في ٣١ مارس سنة ١٧٣٢ أول ولد لهما وهو صاحب الترجمة وكان من المتوقع أن يكون ذا استعداد خاص للموسيقى لما قد يرثه من أبويه. وقد كان ذلك ومنت الطبيعة على هذا الطفل بعبقرية موسيقية أينعت في صغره. تعود الطفل دائماً سماع أبويه يغنيان غناء مزدوجاً مع تبع آلة الهارب لهما فما كان يشتد ساعده حتى بدأ معهما في الغناء غير أنه لسوء حظه قد أصاب والده في هذا الحين عسر مالي اضطرهم للتجوال في البلدان**

المختلفة قصداً في التكسب وغدا ماتياس المسكين الذي لم يكن يستخدم فنه في غير أنس نفسه مضطراً لأن يكتسب منه قوته. وكان عامل الفقر يزداد عليه يوماً بعد يوم إذ كانت أطفاله تكثر كثرة مضطردة حتى رزق عشرين ولداً. وتصادف أن زاره ابن عمه الذي كان ناظر المدرسة الابتدائية في بلد مجاورة فلما شاهد صاحب الترجمة قال لوالده أن طفلك هذا سيكون له مستقبلاً باهراً في الموسيقى فدعني آخذه معي لأحسن تعليمه. ففرح أبواه للتخلص منه ورافق الطفل الذي كان في السادسة من عمره الذي اهتم بتعليمه القراءة والكتابة وبعض الحساب وبجانب ذلك تعليمه الغناء والتوقيع على جميع الآلات الموسيقية.

ولم تكن عيشة الطفل في هذا الوقت بالعيشة الراضية إذ كان عمه شديد القسوة عليه وكان نصيب الطفل من العصى أكثر من نصيبه من الخبز غير أنه من حسن نتائج تلك المعاملة أن أصبح الطفل على حداثة سنة يوقع على جميع الآلات الوترية ويعزف على جميع آلات النفخ ويضرب حتى الصاجات. بعد ذلك بقليل سافر رئيس الفرقة الموسيقية في كنيسة استيفان بفينا إلى تلك الجهات رغبة الحصول على طفل يشترك في أناشيد الكنيسة بصوته الرفيع فما كان يصادف صاحب الترجمة الذي بلغ الثامنة من عمره حتى أعجب به واخذه معه. أخذ الطفل يستعلم في الكنيسة كيفية صوغ الألحان ولما كان في العاشرة من عمره لحن أول قطعة له للكنيسة. ثم بقي بالكنيسة حتى بلغ السادسة عشرة ولما يعد صوته يصلح لأن يفي بالغرض الذي انضم من أجله إليها فقد فصل عنها.

ترك الكنيسة واستأجر غرفة في سطوح احدى البيوتات وفضلاً عن حقارتها فقد كان بالسقف عدة ثقوب تسمح للمطر باختراقها كما أنه لم يكن بها مدفأة حتى كان المسكين إذا دخلها يختار منها ما بعد عن سقوط الأمطار ليجلس فيه كما كان في الشتاء يلجأ دائماً للاضطجاع في سرير نومه هرباً من البرد. وكان عمله في هذا الوقت التوقيع في بعض الاوركسترات والاشتراك في إقامة حفلات (Konzert) صغيرة فضلاً عن أنه كان يعطي دروساً خصوصية في الموسيقى. ومع بؤسه وشدة ما يعانيه من ألم الفقر فقد دفعه عشقه لفنه وتفانيه فيه إلى أن اقتصد في هذا الوقت ما مكنه من شراء بيانو قديم. وكان على فقره راضياً بعيشة قانعاً بحياته وقد كان في بعض الأحايين لا يتكسب ما يقوته فيبيت على الطوى.

تصادف بعد ذلك أن أحد سراة ضواحي فينا الذي كان محباً لسماع الموسيقى رغب أن يسمع رباعية وترية وانتخب لتوقيعها أربعة من مشاهير الموسيقيين كان أحدهم صاحب الترجمة الذي لحن تلك القطعة المطلوبة وكانت أول رباعية له كما كانت فاتحة أعماله الكبيرة. إذ لحن في نفس السنة أول أوبرا وهي المسماة Der Krumme Teufel.

وما كادت تمثل تلك الرواية ثلاث مرات حتى أقبل عليه مدير المسرح وتحفه بقبضة من الذهب. وهكذا جاءت سنة ١٧٥٩ على البائس جوزيف فأدخلت عليه بعض الأمل.

سمع بصيته أحد الأمراء وكان يدعي بأول أسترهاتسي ( Paul Esterhatzy) وكان يقدر فن الموسيقى حق قدره كما كان هو نفسه يجيد التوقيع على الكمان فاستدعى صاحب الترجمة سنة ١٧٦١ وجعله رئيساً لفرقة الموسيقى في قصره وظل يتقاضى مرتبه من تلك الأسرة طول حياته إذا أكرمه جميع من جاء بعد هذا الأمير من احفاده واحداً بعد واحد وأخذ كل منهم يضاعف له مرتبه السنوي حتى بلغ ٢٣٠٠ جولدن (شلن تقريباً) وبذلك لم يعد يحمل هم العيش بعد أو يشغل نفسه بالحصول عليه. وكان مقامه في تلك الأسرة أحسن أيام حياته وأسعدها واوفق الأوقات للتلحين واتساع مجال العمل وقد لحن ١٦٣ قطعة خصيصاً للأمير استرهاتسي ليوقعها الأمير بنفسه على الكمان.

وتصادف في هذا الوقت أيضاً أن أحد سراة المجر (وكان يلقب بمالك الثيران) كان معجباً جداً بألحان صاحب الترجمة فسافر إليه خصيصاً ورجوه أن يكتب قطعة خاصة توقع ليلة زفاف ابنته فحقق له رغبته واسعده بتلك القطعة وبعد أربعة عشر يوماً من ليلة الزفاف بينما كان صاحب الترجمة جالساً يوقع بعض الالحان على البيانو سمع قطعة العرس توقع في الشارع فأطل من النافذة وإذا بعدد كبير من الثيران قد كلل بالورد والزهور وما كاد يصل هذا القطيع مسكنه حتى وقف وصعد من أخبره بأن تلك الثيران هي ملكه اهداها إليه مالك الثيران مكافأة له واعترافاً بفضله. فباع تلك الثيران للأمير واطلق على تلك القطعة من هذا اليوم "قطعة الثيران" وهي مشهورة تحت هذا الاسم Ochsen-Menett.

وقد بدأ صيته يسمع في البلاد الأجنبية التي كانت تتوق نفسه للرحلة إليها ولم يوفق إلى ذلك حتى بلغ الستين من العمر ولم يخرج من النمسا إلى بلد أجنبي إلا في سنة ١٧٦١ حيث رحل إلى لندن فكلل بالفوز. أقام هناك عشرين حفلة كبيرة وكتب اثنتي عشر سنفوني للاوركستر الكامل وهي المعروفة باسم Englische Sinfonien. وما كادت تسمعها أسرات أشراف الإنكليز حتى أرسلت بأبنائها إليه لتلقي العلوم الموسيقية وقد بلغ من شهرته أن تقدمت إليه جامعة أكسفورد المشهورة بقدمها بأهدائه لقب دكتور في الموسيقى.

كتب في هذا الوقت قطعتين من النوع المسمى أوراتوريوم (Oratorium) خلدتا له اسمه ونالتا من الفوز ما لم تنله قطعة ما قبلهما وهما Jahrzeiten و Die Schopfung ولما عاد إلى فينا كانت الثورة الفرنسية قد حركت في العالم عاطفة الشعور بالحرية ففكر أحد حكام جنوب النمسا أن يوجد أغاني حماسية للشعب تحببه في قيصره فرانس جوزيف الثاني وتقوى تمسكهم به ولتحقيق تلك الأمنية استدعى الشاعر النمساوي المشهور هاشكا لتأليف شعر تلك الأغاني ثم صاحب الترجمة لوضع الحانها. وفي يوم عبد ميلاد القيصر في ١٢ فبراير سنة ١٧٩٧ وضعت قطعته "ليحفظ الرب القيصر فرانس" وهذا اللحن قد استعمل فيما بعد للنشيد العسكري الألماني مع تغيير كلماته إلى " المانيا فوق الجميع".

هذا الحن هو أكبر الحان صاحب الترجمة شهرة وقد وقع في ليلة عيد ميلاد القيصر في السنة المذكورة في جميع مسارح النمسا. وجاء على أثره أن ضمت الاكاديمية النمساوية هايدن عضو شرف فيها وانعمت عليه بالمدالية الذهبية. كما اهدته فيما دبلوم الشرف.

وفي ربيع سنة ١٨٠٨ أقيمت حفلة في بناء جامعة فينا دعي إليها الامراء والوزراء واعيان المدينة وكان المكان غاصاً بالمدعوين وقد خصص هذا الاجتماع لتوقيع قطعة صاحب الترجمة المسماة Die Schopfung ووضع كرسيه بجانب كراسي الأمراء الذين كانوا يحتفون به أشد الاحتفاء وقد لوحظ أثناء توقيع القطعة أن المدعوين كان يستفزهم السرور إلى درجة القيام من مقاعدهم على غير علم منهم وما كاد ينتهي التوقيع حتى أقبل عليه الجميع يهنئونه بكل تبجيل واحترام بشكل ادخل السرور إلى فؤاده ونال من احساسه الموسيقي الرقيق فاضطربت حواسه وبكي وقال بلسان متلعثم مشيراً إلى السماء "من هنا يأتي كل شيء" وقد بلغ من اضطراب أعصابه أن اضطر الحضور إلى حمله إلى بيته.

ومن هذا اليوم بدأت قوته البدنية تأخذ في الانحطاط حتى يوم ١٠ مايو وصل الفرنسيون إلى أبواب فينا حيث كان يسكن صاحب الترجمة وبينما كان أحد أصدقائه يساعده على الخروج من سرير نومه ليرتدي ملابسه تأهباً للخروج من المنزل قصفت المدافع وسبب دويها اهتزاز جميع البيت فاضطربت أعصاب المسكين لضعفه وأثر عليه ذلك تأثيراً لم يعف منه بعد. وبعد عشرة أيام من هذا الحادث فاضت روحه إلى

**خالقها في ٢٦ مايو سنة ١٨٠٩. وقد أقيم له في نفس السنة أول تمثال له بفينا.**

* * *

**يطلق الجميع على صاحب الترجمة لقب "أب الموسيقى الحديثة" وذلك لأنه أول من أغنى الآلات الموسيقية بعديد الحانة وقد أهداها ١٩ أوبرا وأكثر من مائة سنفوني للأوركسترا وثلاثين قطعة للبيانو وبضعة ثنائيات و٣١ ثلاثية. وفي عهده وجدت جميع الفروقات الفنية بين سنفوني وزوناتن (Sinfonien und Sonaten) وكان قبله لا يوجد مفرق ما بينهما ما دام لا يشترك الغنا فيهما. وكما عاش فرحاً لا يميل إلى العزلة قنوعاً بحياته يدخل السرور في قلب مجالسيه كذلك جاءت موسيقاه حفيفه الروح تبعث السرور في النفس.**

(٢)

## فولفجانج أماديوس موتسارت

Wolfgang Amadeus Mozart

ولد في زالتسبرج (بالنمسا) في ٢٧ يناير سنة ١٧٥٦

وتوفى في فينا في ٥ ديسمبر سنة ١٧٩١



فولفجانج أماديوس موتسارت

Wolfgang Amadeus Mozart

"Breitkopf & Hartels Kleine Musikerbiographien"

كان جد صاحب الترجمة مجلداً للكتب وقد رزق ولداً سماه ليوبولد ثم رغب أن يجعله محامياً غير أنه عجز عن تأدية ما تستلزمه تلك الدراسات من النفقات فنصح ولده أ، يشتغل بالموسيقى ليكتسب منها ما يساعده على دراسة الحقوق. فالتحق بمدرسة زالتسبرج وحصل على دبلومها وأصبح محامياً غير أن استعداده لأن يكون معلماً للموسيقى كان أكبر بكثير منه لأن يكون حقوقياً ولذلك فإنه لم ينجح في أن يشتغل بالمحاماة بل استمر في كسب عيشه من إعطاء الدروس الموسيقية وكان لما اشتهر عنه من قدرته على التدريس يقصده الكثيرون من محبي الفن وغواته ثم دعاه حاكم المدينة لأن ينضم إلى فرقة الموسيقى في قصره ففعل. ثم تزوج في السادسة والعشرين من عمره بفتاة صغيرة تدعى ماريا أنا برتلين. وقد رزق منها سبعة أطفال مات خمسة منهم ولم يعش له غير بنت ولدت عام ١٧٥١ وطفل اسمه فولفجانج هو صاحب الترجمة. ولد ذلك الطفل في ٢٧ يناير سنة ١٧٥٦ وما كاد يولد حتى أطلق عليه لقب "طفل المعجزات" والحقيقة أنه أتى في صغره بكثير مما لو ادعى معه النبوة لا من به الكثيرون إذا اجتهد وهو في الثالثة من عمره أن يوقع على البيانو وأن يفرق بين مسافات مفاتيحه ولم يكن من الصعب على والده الذي يكتسب من التدريس خبرة واسعة في اكتشاف استعداد الأطفال أن يتبين عبقرية ولده وهو في الثالثة من عمره وأن يبدأ برعايتها فدرس له بنفسه ولما بلغ الطفل الخامسة من عمره لحن بنفسه بضعة قطع صغيرة وقعها على البيانو. وفي السادسة من عمره وقع على

الكمنجة وكان في السابعة من عمره يوقع ألحان الكمنجة الثانية مباشرة لأول مرة من النوتة الموسيقية بدون تمرين عليها أو سابق علم له بها.

وفي عام ١٧٦٢ إذ كان الطفل في السادسة من عمره رغب والده أن يشهد العالم نبوغه فسافر معه [٤] إلى ميونخ ومنها إلى فينا التي ما كادا يصلان إليها حتى استدعتهما الأسرة المالكة هناك وقد استأثر حب الطفل في قلب كل فرد من أفرادها وكانت الهدايا تقدم إليه جزافاً. وقد كان فرح والده به شديداً وقد أرسل من فينا إلى زوجته تلغرافاً يقول فيه" "فولفجانج جالس على رجلي القيصرة وهي تلاعبه وتمسك بعنقه لتقبله"

ثم عاد إلى مدينة زالتسبرج وقد سببت تلك الرحلة للوالد من السعادة ما جعله يقوم برحلة ثانية في ربيع نفس السنة فسافر مع ولده إلى ميونخ فأوجسبرج ففرنكفورت فبن فاخن (اكس لا شايل) ثم إلى برسلاو ومنها إلى باريس التي وصلاها في ١٨ نوفمبر من السنة نفسها وفيها ظهر للطفل أول ما طبع له من مؤلفاته وهو أربع فرديات للبيانو مع متابعة الكمنجة.

غير أن غرام موتسارت الصغير بالموسيقى حتى الأن لم يتعد سلوة طفل بألعوبته فإن كان كثيراً ما يقف خلال التوقيع ثم يقفز إلى والده أو والدته ليرمي بنفسه وسط أحضانهما ثم يسألهما عما إذا كانا يحبانه وكثيراً ما تعمدا أن يجيبانه بالسالب على طريق المزاح معه فكان ينتحب

من البكاء حتى يؤكدان له في كل مرة ذلك الحب. فعل ذلك في طفولته مئات المرات.

سافر الوالد وطفله من باريس إلى لندن فلحن موتسارت الصغير الذي كان قد بلغ الثامنة من عمره للملكة ستة فرديات للبيانو والكمنجة وكتب أول سنفوني للاوركستر الكامل ثم سافر في سنة ١٧٥٦ إلى هولاندا ومنها إلى باريس ثانية ثم إلى سويسرا ومنها عاد ثانية إلى زالتسبرج في سنة ١٧٦٦.

قد تبين للوالد خلال تلك المدة أن طفله ليس به استعداد لأن يكون موسيقياً فقط بل لان يكون كم أكبر شعراء الالحان (Komponist) وبذلك بدأ بتعليمه الموسيقى النظرية وكان في الحادية عشر من عمره.

كتب موتسارت في الثانية عشرة من عمره أول قطعة للكنيسة ثم سافر بعدها في سنة ١٧٦٧ لثاني مرة إلى فينا فلحن بأمر القيصر جوزيف الثاني أول أوبرا لع غير أنها لن تظهر على المسرح وذلك لما جاء في ألحانها من الصعوبات التي أعيت جميع مغنيي ومغنيات فينا عن القيام بها. عاد يعد ذلك إلى ألمانيا واجتهد والده في الحصول له على وظيفة ثابتة يتكسب منها الطفل عيشه فلم يوفق إلى ذلك ولم ير والده بداً من متابعة حياة التجوال فأخذه ورحل إلى إيطاليا وكان قصده من ذلك أن يوجد شهرة لولده في إيطاليا التي لا بد أن تقدر عبقريته لما بلغه

أهلها من التقدم الفني في ذلك الوقت ومتى تم لموتسارت الصغير ذلك وذاع صيته في البلاد الإيطالية فإنه لن يعدم شهرته في البلاد الألمانية بعد عودته إليها. أخذ الوالد وطفله يتنقلان في البلاد الطليانية حتى وصلا ميلان فذاع صيت صاحب الترجمة ثم سافرا إلى نابلي ومنها إلى روما التي ما كاد يصل إليها حتى أنعم عليه البابا بلقب كبير من القاب الكنيسة كما لقبه الشعب الطلياني بلقب Amadeus ومعناه المحبوب واقترن اسمه من ذلك الحين دائماً بهذا اللقب حتى صار فيما بعد جزء منه وكان هو نفسه يكتب امضاءه ف. ا. موتسارت (W. A. Mozart).

ثم أدى الطفل في إيطاليا وهو في الربعة عشرة من عمره امتحاناً في مدرسة بولونيا الموسيقية ضم بعده إلى اكاديمية الفيلهارموني التي كانت أكبر هيئة موسيقية في البلاد الإيطالية. ثم طلب منه مدير مسرح الاوبرا في ميلان تلحين احدة الاوبرات فلحنها له وثلت عشرين ليلة متتالية بدون انقطاع ثم عاد الأب وابنه في سنة ١٧٧١ إلى زالتسبرج.

ظل موتسارت الصغير بالرغم من شهرته التي بلغها وبالرغم من عديد الاوبرات التي وضعها لا يجد له وظيفة ثابتة حتى بعد عودته من إيطاليا ثم تصادف أن طلب منه حاكم مدينة زالتسبرج تلحين احدى الاوبرات فلحنها وبعد، قابلت في تمثيلها نجاحاً عظيماً استدعاه ذلك الحاكم للانضمام إلى قصره. غير أنه كان يعامله معاملة الخادم وأصبح موتسارت طفل المعجزات– موتسارت نابغة الموسيقى– موتسارت صاحب الألقاب الطليانية الضخمة– موتسارت التي قوبلت الحانة

واوبراتهبكل اعجاب– أصبح يأكل مع خدم المطبخ على مائدة واحدة. وفي سنة ١٧٧٥ إذ كان في الواحدة والعشرين من عمره ظهر له عديد القطع للبيانو والاورجل والكمنجة والكثير من الاوبرات الهزلية والمأساة وجميع أصناف الالحان المختلفة وقد بلغ ما كتبه في تلك السنة وحدها ٢٠٠ قطعة مختلفة.

عاف العمل بعد ذلك في قصر حاكم المدينة فتركه وعزم على عمل رحلة هو ووالدته فأخذ يتنقلان من بلد إلى أخرى حتى وصلا باريس. غير أنه لم يوفق فيها أيضاً إلى إيجاد وظيفة ثابتة حتى أنه قد تصادف أن خلت أثناء مقامه هناك احدى الوظائف الموسيقية في قصر فرساي فقدم طلبه في الالتحاق بها فرفض طلبه. ومن المدهش أن يروي مثل هذا الخبر عن باريس التي كانت أم الموسيقى في ذلك العهد والتي كان أهلها خير من يستطيعون تقدير أهل هذا الفن. واضطر موتسارت الصغير للالتجاء إلى إعطاء الدروس ليكتسب منها عيشة صارفاً في ذلك من الوقت ما كان هو في أشد الحاجة إلى صرفه في صوغ الالحان ووضع الاوبرات. وأبت الأيام إلا أن تزيد همومه وتضاعف بؤسه فسطا الموت على والدته في نفس السنة ونوفي تيف باريس في ٢ يوليو سنة ١٧٧٨ وهنا جاء مثل لرقة موتسارت التي يضرب بها المثل فقد جلس بعد وفاة والدته يحرر إلى والده ليعلمه بوقوع المصاب فلم يستطع مكاشفته بالخبر شفقةً عليه وجاءت رسالته مقتصرة على وصف مطول لمعيشتها في باريس واصابة والدته بالمرض وآخر ما استطاع أن يكتبه هو جملة ختم بها تلك الرسالة يقول فيها "واننا بين يدي الله وكل ما يفعله

خير" وقد اضطر بعد ذلك إلى العودة إلى سالتسبرج بعد أن فقد كل أمل في تحسن حالته.

طلب منه بعد ذلك أحد مسارح ميونخ تلحين احدى الاوبرات فلحن له "Re di Creta" وقد كانت تلك الاوبرا فاتحة حياة فنية جديدة إذ كانت أول عمل تجلت فيه مواهب موتسارت واظهرت استعداده للابتداع كما جاءت برهاناً على عظيم استفادته الفنية من مقامه في باريس وتلك الاوبرا على ما حوته من بديع الالحان وجمال الفن فأنها لم تخلد له ويندر أن يسمع بها الان انسان وذلك أنها جاءت كأوبراته السابقة تتطلب للقيام بألحانها مغنيين ومغنيات من أول طبقة في الفن فضلاً عن أنه لا بد أن ينهكهم التعب قبل الانتهاء من تمثيلها.

سافر بعد ذلك إلى النمسا واستمر يتكسب عيشه هناك من إعطاء الدروس وإقامة الحفلات. ثم تعرف في ذلك الوقت بالاستاذ جوزيف هايدن وغدا يتردد عليه ثم اهداه في سنة ١٧٨٥ ستة رباعيات وترية جاءت الواحدة أجمل من الأخرى. وفي نفس تلك السنة طلب منه قيصر النمسا تلحين أوبرته المسماة "Figaros Hochzeit" فلحنها غير أنه وقع اعتصاب فني ضده واتفق جميع مغنيي ومغنيات الاوبرا في فينا وكان جميعهم من الطليان فيما بينهم أن يقضوا على تلك الاوبرا الجديدة فيسقطونها انتقاماً لأنفسهم من موتسارت الذي طالما احرج مركزهم أمام القيصر وأمام الشعب النمساوي بما يضعه لهم من الالحان الصعبة وبذلك عندما مثلت تلك الاوبرا لأول مرة وكان القيصر حاضراً بالمسرح

لمشاهدتها بدأ الممثلون بالتلاعب بألحانها وغنائها على وجه خطأ وما كان احرج مركز موتسارت في ذلك المساء الذي رأى فيه بعينيه سقوطه الفني بين الشعب وتزعزع مركزه أمام القيصر بفشل روايته. سقطت تلك الاوبرا في ذلك الحين واهملت ولم يشتهر امرها إلا بعد مائة سنة ذلك ما قدر لتلك الاوبرا الخالدة التي تعد اليوم من أكبر ما يمكن لعبقرية بشرية انتاجه والتي تمثل تباعاً في دور اوبرات الممالك المختلفة.

وقد اضطر موتسارت أن يعطى كل ما يخرجه من الاوبرات للمسارح المجرية حتى ما إذا مثلت هناك عدة مرات وعلم الشعب بها نقلها إلى فينا.

وفي سنة ١٧٨٦ زار النمسا شاب صغير من بلاد الرين الألمانية كان يشتغل بدراسة الموسيقى فقصد موتسارت لما بلغه من الشهرة ليشهد توقيعه على البيانو فلما مثل بين يديه طلب منه موتسارت صوغ لحن تتمثل فيه روح موضوع خاص (أعطاه موتسارت ذلك الموضوع) ثم توقيعه على البيانو. فجلس الصبي أمام البيانو وبدأ في الحال في توقيع لحن كأنما قد سبق له درسه من زمن بعيد فلما انتهى قام موتسارت وقال للحاضرين "عليكم أن تهتموا بهذا الشاب فسيكون حديث العالم في المستقبل" وهكذا تنبأت عبقرية موتسارت بما سيكون لعبقرية بيتهوفن الذي كان لم يتجاوز السادسة عشرة من عمره.

لحن موتسارت بعد ذلك روايته الخالدة "Don Juan" ومثلت لأول مرة في مدينة براج ومن عجيب تلك الاوبرا أنه لم يكن لها اوفرتيرا حتى قبل تمثيلها بيوم واحد جلس موتسارت وكتب تلك اوفرتيرا النادرة في ستة ساعات فقط. وقد كان نجاحه في تلك الاوبرا عظيماً جداً حتى شهد هايدن نفسه بالوحدانية له في الفن فقد سأل أحد سكان فينا الأستاذ هايدن عن رأيه في تلك الاوبرا فقال "أني لا أستطيع أن اخطو تلك الخطوة وأني اعترف أن موتسارت هو أكبر ملحن في العالم بأسره في الوقت الحاضر".

وفي السنة التالية لحن موتسارت الثلاث سنفوني التي جاءت كمعجزات وهي المسماة C dur و Es dur ويطلق عليهما Jupiter Sinfonie والثالثة G moll وليس له من السنفوني غير تلك الثلاثة قطع التي لا يمكن أن يصادف الانسان ارق منها.

وفي سنة ١٧٩٠ ظهرت له اوبرته الخالدة المسماة Cusi fan tutte وفي السنة التالية وهي السنة التي مات فيها ظهرت اوبرته الكبيرة الخالدة "Zauber Flote".

أتى اليه في تلك السنة رسول طلب منه تحقيقاً لرغبة احدى الأميرات وضع لحن محزن يوقع عند موتها غير أنه هو نفسه أصيب في نفس الوقت بمرض اضطره لملازمة فراشه "وقد روي أن ساليري الموسيقي الطلياني الشهير قد أعطاه سماً" وأخذ يكتب تلك القطعة في

سريره مستعيناً في توقيعها بتلاميذه وفي يوم ٤ ديسمبر سنة ١٧٩١ بينما كان بحضرته ثلاثة منهم وكان الجميع يوقعون ذلك اللحن المحزن بكي موتسارت وهو نائم في سريره وقال "أنني لم أكتب ذلك اللحن للأميرة ولكن كتبته لنفسي "ولم تأت الساعة الواحدة من صباح اليوم التالي حتى فاضت روح ذلك العظيم.

* * *

لم يستطع موتسارت الحصول على دخل ثابت له إلا قبل موته بأربعة أعوام فقد أوقف له القيصر جوزيف الثاني ٨٠٠ جولدناً في السنة غير أن ذلك المبلغ لم يكن ليسد حاجته. وقد اضطر في بعض الاحايين لا سيما قبل ما أوقفه له القيصر من الدخل في الأربعة سنوات الأخيرة أن يلجأ إلى رهن ساعته أو شيء من مملكاته للحصول على المال. وقد عاش طول حياته فقيراً حتى أن زوجته عند موته لم يكن لديها من المال ما تجهز به دفنته أو ما تشتري به ضريحه وبذلك بقيت الجثة مرهونة في المدفن على مبلغ ٣٠٠٠ جولدناً إلى أن سدد القيصر ذلك الدين المطلوب.

* * *

مما لا يختلف فيه اثنان أن عبقرية موتسارت هي أكبر عبقرية موسيقية خلقت في العالم حتى ذلك الوقت فقد استطاع بالرغم من موته وهو في الخامسة والثلاثين من عمره وبالرغم من أنه كان يصرف معظم

أوقاته في إعطاء الدروس لاكتساب العيش أن يترك من المخلفات ما لا يمكن لإنسان أن يتصوره حتى لو تخيل أنه قضى طول الخمسة والثلاثين سنة في تدوين كل تلك الالحان على نوت موسيقية. وكان يصوغ ألحانه بسرعة لم يفوقه فيها غير شوبرت. غير أن بطولة موتسارت ليست في كثرة ما كتبه فقط بل في قيمة تلك المخلفات التي لم يظهر ولا في قطعة منها روح العجلة والتسرع في التأليف. وإذا ألقينا نظرة على الاوبرات التي وضعها وهي ما كان أحب الأشياء إليه لوجدناها كلها كمية من الموسيقى من أجمل ما يمكن تصوره من الالحان. وكان يقدم على تلحين الروايات دون أن يفحص مواضيعها أو يهتم بمغزاها ولذلك جاءت أكثر أوبراته ولا قيمة لها إلا في موسيقاها فقط وكان يلجأ إلى ذلك تجنباً من ضياع الوقت في اختيار تلك الروايات وقد خالف في ذلك شوبين Chopin الذي قضى طول حياته يبحث عن رواية يلحنها ومات ولم يصادفه ما يعجبه ولكن موتسارت كان يصوغ الالحان بأي ثمن.

* * *

كان موتسارت خفيف الروح يميل إلى المزاج ومن نوادره أنه بينما كان جالساً مع هايدن في بيته مع كثير من اصدقائهما ساقهم الحديث إلى التكلم عن البيانو فقال موتسارت "أنني أراهن استاذي– يقصد هايدن– على ستة زجاجات شمبانيا أنني في استطاعتي أن أكتب له لحناً للبيانو يعجز عن توقيعه طول أيام حياته حتى بعد طول التمرين عليه" فضحك الجميع من كلامه ولكن هايدن قبل الرهان فاستحضر موتسارت

ورقة أخذ يكتب عليها بعض النوت الموسيقية ثم أعطاها لهايدن الذي اخذها وجلس أمام البيانو وبدأ يوقعها بغاية السهولة حتى موضع مخصوص في اللحن وقف هايدن فجأة وقال كيف يمكن أن يوقع ذلك! يد في آخر البيانو من الجهة اليمنى واليد الأخرى في آخره من الجهة اليسرى ثم في نفس الوقت يتطلب توقيع نوته وسيط البيانو؟" فأجاب موتسارت "نعم يمكن ذلك وهذا هو موضع الرهان فتخل أنت عن البيانو وسأوقعها أنا" فترك هايدن البيانو وجلس موتسارت أمامه وبدأ توقيع اللحن حتى جاءت تلك النقطة المقصودة وقع النوتة التي وسط البيانو بأنفه. وبذلك كسب الرهان.

(٣)

## لودفيغ فام بيتهوفن

(Ludwig van Beethoven)

ولد بمدينة بن في ١٦ ديسمبر سنة ١٧٧٠

وتوفى بفينا في ٢٦ مارس سنة ١٨٢٧

ينتسب صاحب الترجمة إلى أصل هولندي فقد كانت هولندا مقام أسرته وأول من نزح إلى البلاد الألمانية هو جده لودفيج الذي لم تطب له الإقامة بين أهله إذ كان واياهم على طرفي نقيض فاضطر لتركهم وخرج إلى العالم وهو في الرابعة عشرة من عمره وكان يعرف بعض الموسيقى النظرية كما كان يجيد التوقيع على الآلات ولذلك لم يكن من الصعب عليه أن يتكسب عيشه. صار يتجول في الطرقات بين بلد وآخر حتى رحاله في مدينة بن الألمانية وطاب له العيش فيها فأقام بها هو وخلفه من بعده وصارت وطنهم الجديد.

كان يعيش في ذلك الحين في تلك المدينة الأمير ماكسيميليان فريدريك وكان سرياً جداً يربو دخله على العشرة مليون ماركاً وقد أفسح في قصره مكاناً لكثير من الموسيقيين وكانت له فرقة كبيرة داخل هذا القصر فضم إليها لودفيج وصار يترقى حتى أصبح رئيساً لتلك الفرقة

وغدا بعد كان يجول الطرقات حاملاً حقيبته على ظهره لا يعرف في الصباح اين مقره في المساء يرتدي لباساً ملكياً رصع بالذهب والاحجار الكريمة وكان إذا سار في الطرقات حيته الناس بكل اجلال. وقد تزوج وعاش عيشة سعيدة وذاع صيته وأصبح ملحناً كبيراً.

رزق بولد سماه يوهان وكان له من المواهب الموسيقية ومن حسن الصوت ما جعله يسير دائماً إلى الامام. غير أنه كان (صاحب مزاج) يميل إلى الكثرة من شرب النبيذ وقد سعى والده فضمه إلى فراقه القصر التي يرأسها ثم التحق بعد ذلك بأحد المسارح كمغنياً ولم تكن مواهبه لتجعله يتعدى تلك المنزلة. تزوج في سنة ١٧٦٧ واستقل بمسكنه بالرغم من قلة دخله الذي كان لا يربو في السنة عن ستمائة ماركاً. وفي ١٦ ديسمبر سنة ١٧٧٠ رزق بصاحب الترجمة فسماه لودفيج على اسم جده.

* * *

لم يكن يوهان ليهتم مطلقاً بأمر طفله أو ليعتني بتربيته إذ كان يقضي معظم أوقاته خارج البيت فاهتمت بأمره والدته التي كانت شديدة الحنو عليه بقدر قسوة والده وكان شعور الطفل تجاه أسرته خوف من أبيه– حب لأمه– اجلال لجده.

مات جده بعد ذلك بقليل فوقعت الأسرة بفقده في أشد ضائقة الفقر وتسرب البؤس إليهم فبدأت الام تعيش منكودة الحظ والوالد غير

قانع بحياته فإذا دخل البيت رمى كل ما يصادفه هنا وهناك كما يميل دائماً للمشاجرة مع زوجته. وكثيراً ما كان يقابل في طريقه طفله لودفيج فينهال عليه ضرباً بعصاته ولا ذنب للمسكين غير عدم قناعة والده بعيشه. وبذلك تعود الطفل الجبن كما صادفه من ذلك نقص آخر في التربية وهو أن والدته كانت شديدة الشفقة عليه لما ينتابه من والده فأصبحت ولا أمل لها في الحياة لا تعيش إلا من أجله ولا تجد سعادتها إلى في خدمته والسهر عليه فكانت تقدم له كل ما تستطيعه من مساعدة ولم يكن الطفل ليعمل شيئاً ما بنفسه فحرمته بذلك الاعتماد على النفس بحرمانها إياه من الاستقلال في التربية (وهذا ما يقع في كثير من الأسر الشرقية).

كان الطفل مع شدة خوفه من أبيه واجتهاده التخلص من طريقه لا يكاد يسمع صوت البيانو حتى يسرع إليه ويقف بجوار والده منصتاً لتوقيعه فإذا حانت وقفة موسيقية طويلة أقبل الطفل على البيانو مجتهداً تحريك مفاتيحه. وكان يسمع والده يغني ويوقع على البيانو يومياً فكان ذلك عاملاً على اظهار مواهب الطفل التي يهبها الله لمخلوق سواه. لاحظ والده فيه ذلك الاستعداد فبدأ يدرس له بنفسه التوقيع على كل من الكمان والبيانو غير أنه كان شديد العصبية فكان إذا لم يسرع الطفل في فهم كل ما يلقيه إليه يتناوله ضرباً بعصاته وهكذا لم يمر درس دون أن يضرب المسكين لودفيج. وقد بلغ من هذه خوف الطفل من والده أنه كان يقوم بعد منتصف الليل ليوقع ما يطلب منه في اليوم التالي. وكان تقدمه محسوساً حتى شعر والده بوجوب السعي له عن مدرس نشط

يتولى التدريس له وكان الطفل وقتئذ في الثامنة من عمره فسلمه والده لمدير الموسيقى فايفار (Pfeiffer) وكان يعزف على جميع آلات النفخ فتولى التدريس له ولم يكن كوالده قليل الصبر بل كان طويل البال رحب الصدر ولذلك حصل الطفل على يديه في وقت قصير ما ادهشه وأصبح في الثانية عشرة من عمره يضرب أصعب القطع لباخ ( Sebastian Bach) التي اشتهرت موسيقاه بأنها من أصعب ما وضع وذلك لما أدخله فيها من التعاقيد النظرية. ولما بلغ الطفل الثالثة عشرة من عمره طبعت له عدة فرديات للبيانو كانت أول ما نشر له.

ولما بلغ الخامسة عشرة من عمره استدعاه الأمير ماكس فرانس شقيق القيصر يوسف الثاني وضمه إلى فرقة قصره وبعد ذلك بسنتين بعث به إلى فينا ليرى ما هو عليه فن الموسيقى هناك وكان ذلك في سنة ١٧٨٧. وقد كان سرور لودفيج لتلك الرحلة عظيماً جداً وقد تعرف في فينا بموتسارت وظل يجله طول أيام حياته. ولم يكد يشعر الطفل بسعادة المقام في النمسا حتى استل الموت والدته في نفس السنة فأثر في نفسه وقع ذلك المصاب وعاد ثانية إلى مدينة بن بعد أن رأى في فينا من رقي الفن ما جعله يعتقد أنه ليس على شيء من المعلومات وأن كل ما حصله حتى ذلك اليوم لا يستحق الذكر.

وفي سنة ١٧٩٢ بينما كان هايدن عائداً من رحلته من لندن إلى فينا مر بمدينة بن فأعجب بلودفيج كما راع لودفيج ما رأى عليه هايدن من غزير المادة الموسيقية ورغب ملازمته فسافر معه إلى فينا ليتلقى عليه

تلك العلوم وكان موتسارت قد مات في ذلك الحين. ثم لحن لودفيج بعد ذلك ثلاث ثلاثيات أهداها لأستاذه هايدن اعترافاً منه بفضله وسماها عمله الأول (Opus I) متنازلاً عن كل ما سبق له من الالحان في الماضي ناظراً إليها كأن لم تكن. وفي نفس السنة عمل ثلاث فرديات للبيانو سماها العمل الثاني.

وقد تنبأ هايدن– كما تنبأ موتسارت من قبله– بما سيكون لبيتهوفن في المستقبل ولذلك كان إذا تعدى بيتهوفن في صوغ الحانة بعض القواعد الموسيقية وخرج في تأليفه عن النظريات الموضوعة فأن هايدن لا يصححها له ما دامت تقبلها الاذن وكان لا يلفت نظر بيتهوفن إلى مثل الأخطاء لأنه كان يعتقد أن النظريات والقواعد لم توضع إلا لترشد من لم يرزقهم الله هبة خاصة وليس لها أن تقيد الابطال ونوابغ الفن. هكذا كان رأي هايدن على أنه هذا التفكير العالي لم يكن لمثل بيتهوفن الحدث السن أن يدركه فقد تصادف أنه بينما كان عائداً من بيت هايدن متأبطاً كراسة الالحان تحت ذراعه قابله الموسيقي الشهير شنك (Schenk) فتعرض له في طريقه وسأله الاطلاع على كراسته وما كاد ينظر في أول صفحاتها حتى هز رأسه ثم قلب بضع صحائف أخرى ثم هز رأسه ثانية فاغتاظ بيتهوفن وسأله عن سبب ذلك فأجابه شنك قائلاً: "أنه من السهل على عظماء الرجال أن يمر عليهم الخطأ فلا يلاحظونه. على أن العالم لا يستلزم أن يجيد فن التدريس فأنظر هنا ... هذا خطأ... ثم هذا يخالف القواعد الموسيقية وهذا أيضا" فأجابه بيتهوفن: "ماذا أيهملني هايدن ولا يهتم بتصحيح أخطائي أذن فما ذا أرجوه من

ذهابي إليه إذا كنت لا أتعلم منه شيئاً" وكان هذا سبباً في انقطاعه عن الذهاب إلى هايدن وأخذ يدرس على شنك الذي لم يطل عهد تدريسه له إذ تركه بيتهوفن وذهب إلى غيره ثم أخذ ينتقل هكذا من أستاذ لأخر حتى ثم له درس علم صوغ الالحان اثنتي عشر مرة.

على أن الأيام قد جاءت فيما بعد مؤيدة لرأي هايدن ولم يمض على انفصال بيتهوفن منه سنين قلائل حتى خول بيتهوفن لنفسه هذا الحق حق الخروج عن القواعد الموسيقية وقد أتى أحد تلاميذه إليه ومعه قطعة من ألحانه (ألحان بيتهوفن) وخاطبه قائلاً: يا أستاذي إن هذا خطأ" مشيراً في ذلك إلى موضع مخصوص فأجابه بيتهوفن "من قال ذلك؟" قال التلميذ "جميع علماء الموسيقى النظرية البرختسبر جر و... و..." فقاطعه بيتهوفن قائلاً "ليكن ذلك ولكني أقول أنها صح" وقد تصادف بعد ذلك مراراً أنه كان يتعارض مع القواعد والنظريات في كثير من ألحانه ثم يقول "إذا لم يكن هذا مطابقاً للقواعد والنظريات فالقواعد والنظريات هي التي خطأ وإما أنا فصح".

وكانت أيام مقامه في فينا أيماً سعيدة إذ أنه أرسل إليها تحت وصاية أمير شقيق قيصر النمسا كما ذكرنا فضلاً عن أنه بلغ من نبوغه ما حبب فيه جميع امراء فينا وجعلهم يفتحون في وجهه أبواب قصورهم مرحبين به غير أن بيتهوفن كان شديد الديمقراطية يدين بمذهبها ويعتقد أن الانسان إنسان لا فرق بين أمير وحقير ولا بين من شرفتهم الوراثة بألقاب ضخمة ومن شرفتهم الطبيعة دون غيرهم بمواهب خاصة والناس

غنيها وفقيرها متساوية في الحقوق. وكان هذا المبدأ متمكن في نفس بيتهوفن لدرجة أنه كان إذا خاطب أميراً أو برنساً أو أيا من أعضاء الأسرة المالكة يخاطبه بنفس اللهجة التي يخاطبه محدثه بها ولم يكن ليهتم بالرسميات التي يتعود عليها أمثال هؤلاء الأشراف في مقابلاتهم ومخاطبتهم وكان شديد الكراهية لأرستقراطية الأشراف والأمراء وكبريائهم وقد تصادف أن رحل البرنس البروسي فردناند إلى فينا سنة ١٧٩٦ فأقيمت له هناك حفلة تكريم دعي إليها بيتهوفن وقد سارت الحفلة على ما يرام حتى حان وقت الطعام وأخذ المدعوون أماكنهم الخاصة بهم في المقصف لاحظ بيتهوفن أن البرنس وغيره من الأمراء قد أعدت لهم أماكن منفصلة عن سائر المدعوين جهزت لهم فيها مائدة خاصة فتغيظ لذلك ولم يكن منه إلا أن غادر المجلس وخرج مسرعاً ضارباً باب الغرفة خلفه. وبعد خروجه أخذ المدعوون في انتقاده وأنه لا يعرف آداب الاجتماع وقر رأيهم كلهم على ذلك إلا البرنس فردناند فإنه قال "لو كنت أنا بيتهوفن لما فعلت غير ذلك" وسواء أكان هذا خطأ أم صواباً فقد كان هذا مبدأ بيتهوفن الذي يدين به والذي اضطر الامراء والأشراف أمامه للخضوع له وأن يتخذوا لبيتهوفن من عظمته لقباً مساوياً لألقابهم الوراثية فقد أقيم في فينا حفلة تكريم ثانية لنفس البرنس فردناند في نفس القصر التي أقيمت فيه الحفلة الأولى ودعي إليها بيتهوفن فخصص له مقعداً ما بين البرنس وبين الجرافن سيدة القصر وبذلك جلس بيتهوفن في موضعه اللائق به لا يعلوه في المجلس أمير ولا وزير ولم لا يكون ذلك والأمراء وأن أنعمت عليهم القياصرة والملوك بأعلى الرتب واسمى

النياشين فقد أنعم الله على بيتهوفن بأعلى المواهب واسمى العبقريات البشرية. وكان أكره الأشياء إليه أن يسمع من أحد تقريظاً أو ثناء.

وفي سنة ١٨٠١ مات أمير مدينة بن وانقطع عن بيتهوفن ما كان يرسله إليه من المال وأصبح عليه أن يتكسب عيشه فلجأ إلى إعطاء الدروس وبيع الالحان. وظل هكذا حتى سنة ١٨٠٩ إذ استدعاه ملك كاسل لرآسه فرقة قصره ولم يكن لبيتهوفن أن يقبل تقييد فنه وحريته بانضمامه للخدمة في قصر ملكي غير أنه قبل أن يقول كلمته بالرفض خاف امراء النمسا من أن يقوى عامل الفقر على نفسه فيحمله على القبول فأوقفوه له مرتباً قدر بعه ٤٠٠٠ جولدناً نمساوياً (الجولدن يساوي الشلن تقريباً) يتقاضاه سنوياً على شريطة عدم مبارحة فينا وبذلك استطاع بيتهوفن أن يتفرغ لفنه.

كان بيتهوفن لا يصوغ الالحان على آلة ما أو على قطعة من الورق بل كان يصوغها في رأسه وبذلك كان يمشي تائهاً في الطرقات عاري الرأس يفكر في الحانه وكثيراً ما كانت تتساقط عليه الأمطار فلا يشعر بها كما كان يضطجع في كثير من الاحايين في ظل شجرة ثم يسترسل في تفكيره حتى يجن عليه الليل فلا يشعر إلا إذا صادفه من يوقظه من حلمه. وقد عرف جميع سكان فينا ذلك حتى الفلاحين وعامة الشعب فكانوا إذا مروا عليه لا يحبونه حتى لا يقطعون عليه تفكيره. وكان إذا تم له صوغ اللحن في رأسه يخرج من جيبه قطعة من الورق يدون فيها بقلمه الرصاص بعض ملحوظات ثم يعيدها إلى جيبه ويفكر ثانية في لحن آخر.

وقد تصادف ذات مرة أنه ارتكز على شجرة أثناء تفكيره وكان يكثر في ذلك الطريق سير العربات فاقبلت أول عربة وما كاد يرى الحوذي منظر بيتهوفن حتى أوقف الخيل خيفة التشويش عليه. وقفت العربة ثم أقبلت الثانية فأشار إليها الحوذي الأول بالوقوف لأن سيد الموسيقى يفكر وهكذا وقفت الثانية والثالثة وازدحم الطريق بالعربات التي ظلت في مكانها حتى تحرك بيتهوفن من تلقاء نفسه.

وكان بيتهوفن لكثرة انشغاله بالتفكير لا يهتم بالأشياء الخارجية أو بأموره الخاصة فما كان ليعرف مطلقاً كم تكون الساعة فكان ذلك مدعاة لتأخر يومياً عن ميعاد غذائه ساعة أو ساعتين كما كان لا يذكر إذا كان قد دفع إيجار مسكنه أو لا إلا إذا رجع إلى نقوده فعدها ليتبين صحة ادعاء صاحبة المنزل وكان ذلك سبباً في وقوع تشاجر بينهما في كثير من الأحوال.

بدأ بيتهوفن من سنة ١٧٩٧ يفقد حاسة السمع وأخذ يتعسر عليه حتى سماع الأصوات المرتفعة ولم يمض على ذلك التاريخ ثلاثة أعوام حتى أصبح لا يستطيع التفاهم مع الناس إلا بواسطة القراءة والكتابة. وقد سبب له ذلك الصمم من البؤس ما جعله يفكر في التخلص من حياته وإنا لنورد مثلاً لذلك من مراسلاته. فقد كتب في ٢٩ يونيو سنة ١٨٠٠ إلى صديق له: "أستطيع أن أقول لك إنني تعس في حياتي وقد حاولت طول السنتين الماضيتين أن أتباعد عن المجالس لإني لا أريد أن يعرف الناس عني إني أصم ولو كانت لي مهنة أخرى لهان علي الأمر

ولكن ومهنتي الموسيقى فإن المصاب أسوأ ما يتصور". وله في خطاب آخر "ولو لم أكن أخاف عقاب الأخرة لتخلصت من حياتي بنفسي ولا قدمت على الانتحار بإرادتي" وبالرغم من أنه أصبح لا يستطيع سماع الأصوات الموسيقية فقد استمر يدير فرقته وكان يلجأ في ذلك إلى ضبط الوحدة (الضربات) الموسيقية وإما الغناء فلم يستطع بأي طريقة ما ادراته وضبطه. وكان الشعب لحبه له لا يرغب جرح عواطفه بأن يسأله اعتزال إدارة فرقته بل استمر فيها حتى تركها هو من نفسه. وقد غدا حسن توقيعه على الآلات يقل تدريجياً في كل سنة عن سابقتها حتى أصبح لا يستطيع التوقيع بالمرة إذ أصبح لا يميز إذا كان توقيعه مسموعاً أو غير مسموع كما أصبح عاجزاً عن تمييز شدة الصوت وبذلك كان يأبى في آخر أيامه التوقيع على أية آلة.

ظل بيتهوفن هكذا حتى مارس سنة ١٨٢٦. فشعر بانحراف في صحته ثم ازداد عليه المرض فلزم الفراش واستدعى إليه بعض الأطباء فرفضوا زيارته وأهملوه لفقره ولم يلب نداء الإنسانية غير طبيب واحد عاده بعد فوات الفرصة واستفحال الداء. ولكن إذا كان بيتهوفن لم ينصفه العالم حتى في آخر أيامه وأبى مشاطرة آلامه والاحتفاء بوداعه عند موته فقد قامت له الطبيعة بكل تلك المظاهر وما جاء مساء ٢٦ مارس حتى ادلهمت السماء وغطتها سحب شديدة السواد ثم عقب ذلك برق شديد ورعد مخيف كادت تهتز معه المساكن وما هو إلا ربع ساعة من الزمن قضاه بيتهوفن في فراشه بين تلك المظاهر حتى فاضت روحه وصعدت إلى السماء تودعها عظمة الفن وجلال الطبيعة.

لقد وهبت الطبيعة بيتهوفن نفساً طروبه تميل إلى السرور والفرح غير أنه أصيب في طفولته بما عكر صفاء تلك النفس بل بما أدمى قلبه فقد كان يرى أمامه دائماً أماً حزينة أثقلها الدهر بنكباته فتستلم يومياً للبكاء أمام الفاقة وكان هو طيب القلب شديد الحب لامه وبذلك حرم في صغره سعادة الطفولة كما كدر صفاء عيشه في كبره ما أصيب به من الصمم. على أن تلك الآلام النفسية لم تكن لتحجب خفة روحه وميله الطبيعي للمزح والنكات وله في ذلك مستظرفات عدة. وكانت عاطفة الحب عنده شديدة جداً يهبها لكل من يخلص له وقد عدم في حياته زوجة يهبها تلك العاطفة فتهبه هي أيضاً من الإخلاص ما يخفف من شقائه فقد قضى الشطر الأول من حياته مشغولاً بتحصيل العلوم الموسيقية فلم يفكر مطلقاً في الزواج كما قضى الشطر الثاني أصماً لا يرضى بزواجه أدح فحرم بذلك زوجة تفكر في تدبير منزله وتنظيم معيشته الداخلية وما كان أشد احتياجه إلى ذلك ويكفي أن نضرب مثلاً لشدة ارتباك معيشته بذكر بعض ما جاء في خمسة أيام فقط من مذكرته في سنة ١٨١٩.

١٦ مايو– أعلن خادمة المطبخ بترك خدمته.

١٩ مايو– فصلت نلك الخادمة.

٣٠ مايو– أعلن صاحبة المنزل.

أول يوليو– استلمت الخادمة الجديدة أعمالها.

٢٨ يوليو– طردت الخادمة الثانية في المساء.

وكان بيتهوفن يعجب بنابليون بونبارت قبل أن يكون قيصراً بل أيام كان لا يزال قنصل فرنسا الأول وكان ينظر بيتهوفن إليه كنصير الديمقراطية ومحرر الشعب الفرنسي وقائده إلى الحرية وقد بلغ من اعجابه به أن كتب له لحناً خاصاً في سنة ١٨٠٤ تتمثل فيه روح البطولة ودون ذلك اللحن في كراسة كتب على الصفحة الأولى منها بخط يده "بونابارت" وبينما كان يعد نفسه لإرسالها إليه دخل عليه أحد تلاميذه ومعه احدى الصحف اليومية ثم ابتدر بيتهوفن بقوله أتعلم ماذا جد من الأخبار أن الشعب الفرنسي قد رفع نابليون إلى العرش ونادى به قيصراً على فرنسا. فتغيظ بيتهوفن عند سماع هذا الخبر ورمى بالكراسة إلى الأرض ثم قال بلهجة التهكم "هكذا يبرهن نابليون أنه مخلوق بشري عادي وأنه سيدوس غداً تحت قدميه حقوق شعبه الذي كان بالأمس نصير حريته بعد أن تعلمه القيصرية كيف يكون ظالماً" ولما رغب تلميذه التقاط كراسة اللحن قال له "دعها تداس فقد داس آمالي". رفع اصدقاؤه فيما بعد تلك الكراسة ولحنها هو المعروف الأن بالسنفوني الثالث.

وكان من عادة بيتهوفن التأني في صوغ الالحان بقصد الاجادة واتقان الصنعة فخالف بذلك ما كان عليه موتسارت وشوبرت ولكنه قد ترك بالرغم من ذلك مجلدات عديدة تحتوي على فرديات لمختلف الآلات كما ترك تسعة سنفوني. وسبعة كونسرت (Konzert) وقطعة سباعية وسداسيتين وثلاث خماسيات وستة عشر رباعية وترية وستة

وثلاثين فردية للبيانو وستة عشر قطعة للبيانو مع متابعة آلة أخرى له وثمانية ثلاثيات للبيانو. ولم يلحن غير أوبرا واحدة وهي فيديليو (Fedelio) وبضعة قطع للكنيسة وما لا يحصر من القطع للبيانو مع متابعة الغناء.

وكان بيتهوفن يحمل الموسيقى مل ما يرغبه من المعاني وقد صور كل حياته في قطعته المعروفة بالسنفوني التاسعة التي وضعها رواية تمثل جميع أطوار حياته في ألحان من غير كلمات. وتلك القطعة هي أكبر قطعة له وأشهر وأخلد قطعة موسيقية في العالم بأسره.

(٤)

## فرانس شوبرت

(Franz Schubert)

**ولد بفينا في ٣١ يناير سنة ١٧٩٧**

**وتوفى بها في ١٩ نوفمبر سنة ١٨٢٨**



**فرانس شوبرت**

Franz Schubert

إن في سيرة صاحب الترجمة مثل نادر الوقوع فقد قل أن يتمتع البطل في حياته بالهدوء وأن يعيش عيشة ساكنة كما عاش فرانس شوبرت الذي لم يكن ليهتم يوماً ما بكسب شهرة أو بتحصيل مال أو لقب كما كان يرفض كل ما يعرض عليه من الوظائف أو الأعمال الخارجية رغبة الحصول على الراحة وعدم تحمل نفسه عناء التفكير لغيره.

رزق والده من زوجتين له أربعة عشر طفلاً ولم يكن في طاقته أن يبذل من المال في سبيل تربيتهم ما يجب انفاقه ولذلك قام هو بتربيتهم. وكان مدرساً في احدى مدارس فينا ذا مسل خاص للموسيقى ولذلك درس لجميع أطفاله هذا الفن فظهر فيهم كلهم استعداد للنبوغ سيما ولده فرانس صاحب الترجمة الذي أظهر مواهب نادرة فقد كان لا يحتاج لتدريس والده أو أشائه له بل كان هو يعرف كل شيء بعريزته وقد اعتنى به والده أكثر من سائر أخوته فاستحضر له مدرساً للبيانو والكمان وفن الغناء غير أن معلمه ما كاد يبدأ معه حتى أكبر أمر الطفل ولم ير بداً من استدعاء والده ثم بكى أمام عظمة الطفل وقال "أنني لم أر في حياتي تلميذاً كهذا يعرف من نفسه كل ما أريد تدريسه له أو شرحه أيه ويدرك بفطرته ما يحتاج غيره في تعلمه إلى عديد السنين".

ولم يبلغ الطفل الحادية عشرة من سنة حتى انضم إلى الفرقة الموسيقية القيصرية وكان رئيسها الموسيقى الشهير ساليرى (Salieri) الذي آثره نبوغ الطفل فأخذ على عاتقه المضي في تعليمه. وكان في هذه الفرقة يغني أول صوت مرتفع (Sopran) كما ينفرد وحده دون سائر

أفراد الفرقة بالتوقيع على الكمان في جميع قطعها الفردية (Violinsoli) وقد لحن في هذا الوقت بعض القطع كما أظهر من التفوق ما جعل رئيس الفرقة يسند إليه إدارتها في كثير من الاحايين. اشتغل بعد ذلك بدرس الرباعيات الوترية التي وضعها هايدن وموتسارت وما كان قد استحدث منها لبيتهوفن. ولم يكد ينتهي منها حتى بدأ هو نفسه في وضع رباعياته الوترية وبعض قطع للبيانو فلما شاهد ساليري ذلك استحضر له روتسيكا (Ruzicka) أكبر معلم في فينا في هذا الوقت ليعلمه صوغ الالحان. ولكن ماذا يفعل المعلم أمام تلك العبقرية الناضجة. فما كاد يبدأ معه هو الأخر حتى عاد إلى ساليري يقول له "إنني لا أجد ما أدرسه له وهو غير محتاج بعد إلى أي مدرس ما فقد وهبه الله كل شيء". فزاد تعلق ساليري به وعمد إلى التدريس له بنفسه فأخذ يلقنه الموسيقى النظرية حتى سنة ١٨١٠ ومن هذا التاريخ بدأت ألمانيا تستقبل بطل أغانيها وتقطف يانع ثمار عبقريته التي لم تعرف الملل ولم تكن لتخونه ساعة ما.

بدأ وهو في الثالثة عشرة من عمره سلسلة أعماله الخالدة فظهر له عديد القطع الموسيقية والرباعيات الوترية وقطع كثيرة خاصة بآلات النفخ وقد كانت سرعة تأليفه للألحان تفوق سرعة تدوينها في النوت الموسيقية ولذلك كان يصحبه دائماً من يجلس بجانبه ساعة التلحين فيدون له كل ما يؤلفه.

ولما بلغ السادسة عشر من عمره جاء عليه دور الانضمام في الخدمة العسكرية الاجبارية التي ما كان لأحد لأن يعفى من الانتظام في

سلكها إلا إذا كان مدرساً في إحدى المدارس العمومية وعلى ذلك سعى له والده حتى ادخله مساعداً في احدى تلك المدارس. غير أن مهنة التدريس لم يتكن لتعوقه عن العمل في الموسيقى فقد كان يقضي أوقات فراغه كلها في دراسة ما كتبه هايدن وموتسارت وبيتهوفن ثم بدأ بعد ذلك في عمله الأثري الخالد وهو تلحين جميع قصائد جيتا وشلر ( Goethe und Schiller) الشاعران الالمانيان الشهيران. وهنا تعرض له مدرسه ساليري معطياً إياه بعض قطع من الأوبرات الطليانية القديمة قائلاً له "عليك أن تتعلم اللغة الطليانية وإذا رغبت أن تكون ملحناً للأغاني فلا تلحن إلا ما كتب بالطليانية تلك اللغة الرقيقة ولتترك اللغة الألمانية فإنها جافة". غير أن صاحب الترجمة رأى غير ذلك فإنه كان لا يميل للأوبرات كما كان هو نفسه شاعراً يعشق الشعر ويميل إلى تلحينه وكان هذا الانقسام في الرأي بينه وبين مدرسه سبباً في انفصالهما الواحد عن الأخر.

وفي سنة ١٨١٧ ترك التدريس وتفرغ للموسيقى ودأب على تلحين قصائد الشاعرين المذكورين وما كان للشعب في هذا الوقت بعد أن تعود على أغاني لا معنى لها أن يدرك معنى أغاني جيتا وشلر لذلك لم يعره الشعب الاهتمام اللازم وظلت شهرة شوبرت بين أصدقائه ومعارفه ولا تتعدى المجتمعات الصغيرة التي كان يلقى هو بنفسه فيها تلك الأغاني.

وفي سنة ١٨١٨ استدعاه الجراف بأول استرهاتسي ليصحبه في رحلته إلى المجر ليدرس فن الموسيقى لابنته فقبل وسافر معه وهناك

سمع الموسيقى المجرية وأعجب بذوقها حتى أنه أستمد منها في بعض قطعه التي كتبها فيما بعد. وكان يعيش في أسرة الجراف كأحد أفرادها وشغل بحب ابنته الصغيرة بالتدريج حتى أصبح ولها بغرامها وقد سألته ويماً ما "إنك تدعي أنك تحبني فلم لم تهدني حتى اليوم غنوة ما" فأجابها "ليس من المستلزم أن أعنون احدى الأغاني باسمك ولكنها كلها لك" ولم يكن لمثل المسكين شوبرت أن يطمع في الزواج بالسرية كارولينا ابنة الجراف الطائر الثيت ولكن آثر أن يحفظ لها في قلبه الولاء إلى الأبد فعاش مخلصاً لها محباً ولم يتزوج طول حياته كما كانت هي الأخرى كذلك ولم يتزوج إلا مكرهة في سنة ١٨٤٤ بعد موت شوبرت.

بعد مضي سنتين من زيارته للمجر ترك شوبرت إعطاء الدروس الخصوصية وتفرغ بكله للتلحين وكان من عادته أن يخرج مستصحباً صديقه الذي يكتب له الالحان ثم يجلسا في الطبيعة فيستمد شوبرت من جمالها رقة أغانيه. وكان شوبرت لا يهمه رأي الغير في تلحينه بل كان هو يعجب بنفسه وكفى وكان يرفض كل ما يأتيه من الخارج ليلحنه بل كان ينتقي هو لنفسه ما يروق له وكان يفضل التفرغ للفن مع الفقر على التفكير في التكسب. وكان لا يميل للجلوس إلا مع شاعر أو موسيقي.

وفي سنة ١٨٢٤ مات ساليري وبقيت رآسة فرقة الموسيقى القيصرية خالية فاستدعى إليها صاحب الترجمة ولكنه رفضها بالرغم من الحاح جميع أصدقائه عليه كما رفض العمل مع كثير من المسارح. وبقي

يلحن لنفسه ويضع أغانيه بهمة حتى كان في الواحدة والثلاثين من عمره مرض ومات في ١٩ نوفمبر سنة ١٨٢٨.

* * *

كان شوبرت معاصراً لبيتهوفن الذي كان له في قلبه مكانة خاصة وكان يجله ويكبره وكثيراً ما كان يتحدث عنه في مجالسه. وكانت تتوق نفسه للتعرف به غير أنه كان شديد الحياء الأمر الذي كان يحول بينه وبين الجرأة على زيارة بيتهوفن وبعد أن ألح أصدقاؤه عليه في وجوب عمل ذلك التعارف لحن غنوة خاصة وذهب إلى بيتهوفن لإهدائها إليه وما كاد يصل إلى البيت حتى أخذ يقدم رجلاً ويؤخر أخرى ثم صعد السلم بقلب شديد الخفقان وسأل عليه فلم يجده فسرى عنه ونزل فرحاً ورجع من حيث أتى.

كان بيتهوفن ممن يميلون إلى العزلة وعدم الاهتمام بالعالم وكان شوبرت شديد الحياء وهذا هو العامل في عدم تلاقيمها وتعرفهما الواحد بالآخر. غير أن ذلك لم يكن ليمنع بيتهوفن عن التحدث عن زميله دائماً وكثيراً ما صرح أنه يود أن يراه. وقد بقي الحال حتى أذيع في فينا أن بيتهوفن قد لا يعيش أكثر من ثلاثة أسابيع وهنا قلق شوبرت ولم يهدأ له بال وشعر بوجوب رؤية من تغلغل حبه في قلبه كل تلك السنين الطوال ومن يحمل له كل ذلك التبجيل فسافر تواً لزيارته ولم يكد يدخل عليه حتى وجده في سرير نومه وقد اشتد عليه المرض وفقد حاسة السمع

فخنقته العبرات وتذكر أنه بحضرة أبطل أبطال الموسيقى في العالم. مات بيتهوفن وظل يذكره شوبرت حتى مات بعده بنصف سنة وكان أكبر أمنية له أن يدفن بجواره وقد حققت له تلك الأمنية بعد موته.

يلقب شوبرت بملك الأغاني وهو أحد أقطاب الموسيقى الألمانية الأربعة (بيتهوفن– موتسارت– شوبرت– فاجنار). وقد أوجد من الأغاني ما لم يمكن لأحد جمعه وكل ما أمكن الحصول عليه من أعماله حتى اليوم لا يزيد عن ربع ما لحنه وهو وإن لم يعمر طويلاً فقد أكثر من ٣٠ قطعة موسيقية كبيرة بين ألحان للكنيسة وأناشيد وطنية وله ٥٠ مجلداً للأغاني يشترك في غنائها أربعة رجال فأكثر وثلاثة نساء فأكثر ومنها ما يمكن غناؤه بدون مساعدة الآلات. وأما عدد الأغاني التي وضعها ليغنيها فرد واحد مع متابعة البيانو له فلا يمكن لأحد حصره ومن المدهش أن الإنسان إذا أطلع على مجلدات المؤرخين لا يجد من بينهم من يشترك في تسمية بعض تلك القطع بل كل ما يستطيعون ذكره في ذلك المقام أنها عدة مئات. ولحن بعض سنفوني.

وقد زان أغانيه حسن معانيها وقد بلغ من تنوعها أن تجد فيها جميع الطبقات المختلفة ما ترغبه وما يلائم مزاجها. وقد مات والعالم لا يعرف من أغانيه شيئاً مذكوراً اللهم إلا فينا فقد كان معروفاً فيها بين الطبقة الراقية وذلك لصعوبة معاني أغانيه ومات ولم يعرف أحد أنه كتب قطعة ما للبيانو. فشتان بين ذلك العصر الذي عاش فيه وعصرنا الحديث الذي يعيش فيه في قلب كل مغن ومغنية وكل موقع على البيانو والذي تزين أغاني شوبرت كل ما يقام فيه من الحفلات.

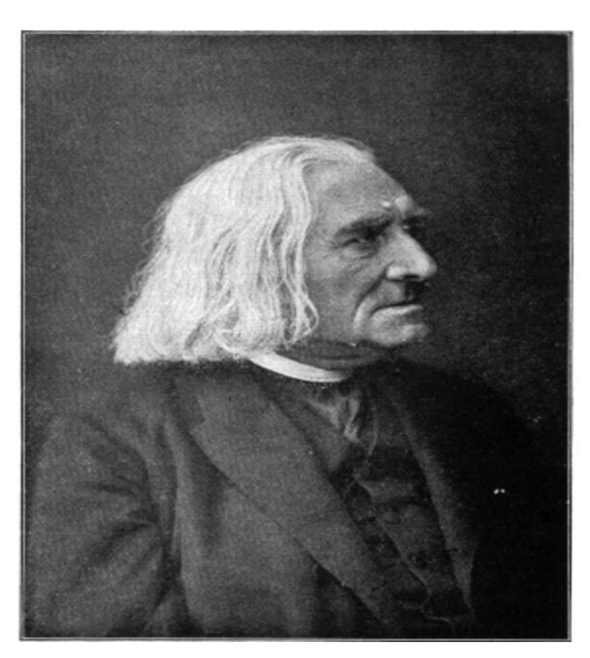
(٥)

## فرانس لست

(Franz Liszt)

**ولد في رايدنج (بالمجر) في ٢٢ أكتوبر سنة ١٨١١**

**وتوفى في بايرويط (بألمانيا) في ٣١ يوليو سنة ١٨٨٦**



**فرانس لست**

Franz Liszt
"Breitkopf & Hartels Kleine Musikerbiographien"

ولد صاحب الترجمة برايدنج المجرية في صباح ٢٢ أكتوبر سنة ١٨١١ وكان والده مديراً لممتلكات الأمير استرهاتسي كما كان موسيقياً يوقع على مختلف الآلات.

ظهر لصاحب الترجمة في طفولته من المواهب الموسيقية ما يجعلنا نطلق عليه لقب "طفل المعجزات" مشتركاً في تلك التسمية مع موتسارت. وقد كان وحيد والده الذي اهتم بتربيته تربية موسيقية محضة وكان همه أن يراه من أكبر الموقعين على البيانو (بيانست) وقد كان ما تمناه ولم يبلغ الطفل التاسعة من عمره حتى وقع في حفلات عمومية وقد قوبل بنجاح شديد سبب عطف الأمير استرهاتسي وبعض سراة المجر عليه فأوقفوا له من المال ما يمكنه من دراسة الموسيقى بالخارج وأرسلوا به إلى فينا لهذا الغرض فأخذ يدرس هناك على ساليري الموسيقي المعروف الذي درس لبيتهوفن وشوبرت من قبل وفي سنة ١٨٢٣ رحل الوالد وطفله إلى باريس فالتحق صاحب الترجمة الذي كان في الحادية عشرة من عمره بمدرستها الموسيقية وما هي إلا بضعة أشهر قضاها بالمدرسة حتى استلفت نبوغه جميع أهالي باريس وذاع صيته في كل مكان غير أن صاحب الترجمة استمر في دراسته وكان أكثر اهتمامه بدراسة ما وضعه باخ (Bach) من القطع.

بدأت تظهر في الطفل في ذلك الحين روح التأليف وإنه لن يكون فقط أمهر بيانست بل سيكون كذلك من أكبر الملحنين وقد ظهر له من

الألحان ما قوبل بكل نجاح. وأصبح معلماً للبيانو ذائع الصيت يقصده التلاميذ من كل فج.

مات والده عام ١٨٢٧ واضطرت والدته للسفر إلى باريس لتعيش مع ولدها. وقد وضع صاحب الترجمة في تلك السنة الطرق الحديثة في كيفية التوقيع على البيانو (Klaviertechnik) وتلك هي المستعملة حتى اليوم. ومن ذلك الحين بدأت بطولة لست تظهر مرة واحدة وذاع صيته في جميع أوربا. وقد كان من أكبر العوامل التي ساعدته على اظهار نبوغه كثرة تردده على أساتذة الفن في باريس لا سيما شوبين (Chopin) وبيرليوز (Berlioz) وكان الأخير مهتماً باتصال الشعر الموسيقي ذات المنهج المعين (Prograrnm-Musik) وتوسيع دائرة الآلات فأخذ عنه لست كل ذلك ونقل هذا الفن الجديد إلى البلاد الألمانية فيما بعد.

وقد احبته احدى الأميرات الجرافن راخولت التي تركت زوجها وتبعت صاحب الترجمة إلى جنيف ثم تزوجت به ورزق منها ابنته كوزيما التي تزوج بها ريشارد فاجنار.

* * *

أقام في جنيف عاماً كاملاً كان في خلاله مدرساً في إحدى مدارسها الموسيقية وبدأ يعكف على دراسة أدبيات الموسيقى وقد ذاع صيته كبيانست إلى أن وصل لست أكبر درجات العلى. وقد اظهر ما ابتدعه من الطرق الحديثة في التوقيع روحاً جديدة اكتسبت توقيعه ميزة خاصة

تأثر كل سامعيه وكان أكثر توقيعه من النوع المسمى بالكلاسيك (Klassik) لا سيما من ألحان بيتهوفن.

سافر بعد ذلك في عام ١٨٣٥ إلى باريس ثانية وقد ظهر له فيها عديد الالحان ثم سافر إلى المانيا وأخذ ينتقل في أغلب مدنها. وظل هكذا حتى عام ١٨٤٨ فأوقف عيشه التجوال كما اعتزل التوقيع على البيانو واشتغل بمدينة فايمار رئيساً لفرقة الموسيقى الملكية وكانت تلك المدينة مركزاً كبيراً للموسيقى ونوابغ الفن وقد بدأ لصاحب الترجمة فيها حياة جديدة إذ تمكن بترك التوقيع على البيانو من التفرغ للتلحين وهناك كتب أغلب قطعة المسماة بالسنفوني الشعرية وكذلك ظهرت أغلب أغانيه كما باشر في تلك المدينة تمثيل رواية لوهنجرين (Lohengrin) لأول مرة وقد كان من أكبر أنصار فاجنار العاملين على انتصار مبدئه كما كان من أكبر أصدقائه وقد ظهر ذلك جلياً في عديد الرسائل التي بينهما.

وقد ملا في مدينة فايمار مركزاً موسيقياً كبيراً كما كان يرجع إليه في الصعاب ويقصده الكثيرون من أهل الفن وكان آخر عمل عمله في تلك المدينة تأسيس جمعية سماها الجمعية الموسيقية الألمانية.

وفي سنة ١٨٦١ سافر صاحب الترجمة إلى روما واشتغل فيها بالتحرير ووضع الكثير مما لا تزال أدبيات الموسيقى مدانة به له حتى اليوم. وقد اهتم في روما بوضع الحان الكنيسة فظهر له ابدع ما يمكن

أن يتصور من الالحان. عاد بعد ذلك إلى ألمانيا ومات وهو في الخامسة والسبعين من عمره بمدينة بايرويط في ٣١ يوليو سنة ١٨٨٦.

* * *

يعد لست أكبر بيانست ظهر في العالم حتى اليوم وقد وقع في المانيا والدانيمارك وانكلترا وسويسرا وفرنسا وإيطاليا فكان موضع إعجاب لم يقابل به أحد من قبله. وقد اهدته جامعة كينجسبرج الألمانية لقب دكتور.

وقد لحن خلاف عديد السنفوني والأغاني المختلفة بضع أوبرات غير أنها تخلد له كباقي أعماله.

وكان لست من أكبر المتضلعين في أدبيات الموسيقى وله في ذلك مؤلفات قيمة كما كان كاتباً ومحرراً كبيراً.

وقد تعرف بيتهوفن بلست وهو طفل في التاسعة من عمره أثناء توقيعه في احدى المجتمعات العامة ولم يكد ينتهي لست من التوقيع حتى قبله بيتهوفن في جبينه. وهكذا قدر الله لبيتهوفن أن يرى قبل موته أكبر بيانست أوجدته الطبيعة كما قدر للست أن يحظى بقبلة من أكبر موسيقي في العالم بأسره.

(٦)

## ولهلم ريشارد فاجنار

(Wilhelm Richard Wagner)

**ولد في لينبرج في ٢٢ مايو سنة ١٨١٣**

**وتوفي في البندقية في ١٣ فبراير سنة ١٨٨٣**



**ريشارد فاجنار**

Richard Wagner

إذا كان لنا أن نحصر التطور الموسيقي الحديث في بطل واحد فهو صاحب الترجمة الذي لم ينسج في ألحانه على منوال من سلفه من الموسيقيين بل اشتغل هو بموسيقاه وصار يستحدث فيها من المبتدعات ما انكره عليه معاصروه إذ كان يعتقد إن الموسيقى يجب أن تتمشى مع العصور وإن تتغير بتغير اخلاق وعادات الشعوب. وهو أول ألماني ادخل نوع "الدرامه" في روايات الأوبرا وأول من تمشى في ألحان رواياته غير متأثر بقواعد الموسيقى بل بروح الشعر خاضعاً لمعانيه ولذلك سميت موسيقاه بالموسيقى ذات المنهج (Programm-Musik) (وقد سبق إلى وضع أساس هذا النوع من الموسيقى الملحن الفرنسي الشهير بيرليوز (Berlioz) كما كان أول من أدخل موسيقى السنفوني في ألحان الأوبرات)

قد قلب صاحب الترجمة جميع الفن الألماني في النصف الأخير من القرن التاسع عشر بما أخرجه من الروايات التي تدين له بها جميع دور أوبرات العالم في كل وقت. وكما وقف بيتهوفن في النصف الأول من القرن المذكور ملك الالحان الخاصة بالآلات فقد وقف فاجنار في نصفه الثاني ملك الالحان الخاصة بالاوبرات. وكما يعد من أكبر نوابغ الموسيقيين فهو من أكبر نوابغ الروائيين وتمتاز رواياته برجوعه فيها إلى الوقائع التاريخية كما أنه من أفحل الشعراء وأكبر الكتاب وقد ترك من مخلفاته ما يعد كنزاً من كنوز أدبيات اللغة الألمانية.

ولد صاحب الترجمة في لينبر جيف ٢٢ مايو سنة ١٨١٣ وكان والده كاتباً ببوليس تلك المدينة وقد مات الوالد على أثره ولادة الطفل تاركاً أسرته في أشد مضاضة الفقر فعمدت الام إلى الزواج تخلصاً من ذلك المأذق وتزوجت بالمصور جاير الذي مات أيضاً بعد قليل من السنين وغدت أسرة فاجنار ثانية بلا عائل. وقد ظهر للطفل في صغره استعداد خاص للفنون ولكن لأ يها؟ لم يكن لأحد أن يستطيع التكهن بذلك حتى ولا هو نفسه. أرسلت به والدته إلى المدارس الابتدائية ثم الثانوية وقد ظهرت فيه أثناء دراسته وهو في الحادية عشرة من عمره عبقريته الشاعرية فبدأ يكتب عديد القصائد كما أصبح يميل إلى الروايات فعكف على دراسة ما كتبه شاكسبير ثم بدأ يأخذ دروساً في التوقيع على البيانو.

انتهى صاحب الترجمة من دراسته الثانوية والتحق بالجامعة (في ليبزج أيضاً) ليدرس فيها العلوم الفلسفية وفلسفة الشعر وأخذ يكثر التردد على المسارح وسماع الموسيقى الجيدة وقد استطاع قبل أن يفكر في دراسة الموسيقى أن يضع ألحاناً بسيطة لبعض قصائده غير أنها جاءت وليس لها أي قيمة فنية.

ثم فكر في أثناء دراسته بالجامعة أن يدرس فن الموسيقى فعكف على تلقي علوم الموسيقى النظرية طول أحد الفصول الدراسية (سمستر) ومدته ستة أشهر غير أنه صادف في قواعدها من الملل ما اضطره إلى ترك تلك الدراسة بعد ذلك الزمن القصير.

وبعد أن انتهى من دراسته في الجامعة سافر وهو في العشرين من عمره إلى فيرتسبرج التي كان أخوه مغنياً في احدى مسارحها ومكث فيها سنة وقد كتب هناك أول أوبرا له وهي المسماة Die Feen غير أن موسيقاها جاءت من الضعف لدرجة أنها لم تمثل ولا مرة على المسرح. مضى عليه بعد ذلك بضعة سنين بات فيها هدفاً لسهام الفقر ولم يكن ليعرف ماذا يصنع ثم انضم إلى العمل في الفرق الموسيقية في المسارح وأخذ ينتقل من واحدة إلى أخرى حتى بلغ الخامسة والعشرين من عمره فوضع رواية ثانية ثم قصدها ثم لحنها ومثلت مرة واحدة على المسرح الذي يشتغل هو في فرقته الموسيقية غير أن تلك الأوبرا سقطت أيضاً لضعفها الموسيقي ولم تمثل غير تلك المرة ثم تزوج بإحدى الممثلات وسافر معها إلى مدينة ريغا الروسية واشتغل هناك رئيساً للفرقة الموسيقية في احدى مسارحها غير أنه لم يطل مقامه فيها إذ تركها بعد سنتين في صيف عام ١٨٣٩ وكان في السابعة والعشرين من عمره وركب هو وزوجته البحر قاصدين لندن التي سافرا منها فيما بعد إلى باريس. وفي تلك الرحلة البحرية بين ريغا ولندن هاج البحر وتلاطمت أمواجه وهدد الغرق جميع ركاب السفينة فأثر ذلك المنظر في نفس فاجنار ونقله إلى اوبرته المسماة Der fliegende Hollander وقد بدأ كتابتها في البحر وانتهي منها في باريس. ثم عاد بعد ذلك إلى ألمانيا حيث مثلت تلك الأوبرا لأول مرة ببرلين في ربيع سنة ١٨٣٢ ثم استدعاه ملك سكسونيا لرآسة فرقة قصره وبذلك انتزعته من مخالب الفقر وبدأ فاجنار يحيى حياة طيبة وأصبح مقامه مدينة درسدن.

بعد ذلك بثلاثة سنوات وضع روايته تانهويزر (Tannhauser) غير أن تلك الأوبرا لم يستطع الشعب الألماني فهم موسيقاها عندما مثلت في دسدن لأول مرة وبذلك لم تصادف نجاحاً في أول الأمر وأخذ الشعب فيما بعد يقدرها تدريجاً. وبينما أصبحت تلك الأوبرا تمثل في مختلف المسارح كان فاجنار مشتغلاً بوضع أوبرته المسماة لو هنجرين (Lohengrin).

وكان فاجنار ذا قدرة كبيرة في الكتابة كما كان صحفياً كبيراً فلما آنس من شعبه عجزه عن تفهم موسيقاه وما ابتكره ادخال الدراما في الاوبرات عمد إلى وضع الكتب والتأليف في ذلك الموضوع كما أخذ يحرر في بعض المجلات والجرائد مدافعاً عن رأيه وقد تسبب عن ذلك اقتتال شديد وبدأ عراك فني عنيف إذ انقسم الشعب الألماني إلى قسمين قسم اطلق على نفسه اسم الفاجناريين والقسم الأخر معارضيهم.

مثلت لوهنجرين لأول مرة في فايمر سنة ١٨٥٠ وقد صادفت في تلك المرة من النجاح ما لم تصادفه تانهويز إلا بعد مضي عدة سنين. ثم سافر فاجنار بعد ذلك إلى لندن ورأس هناك فرقة الفليهارموني ثم عاد بعدها إلى ألمانيا ومعه اوبرته تريستان وأيزولده (Tristan und Isolde).

وكما قابل الشعب الألماني أوبرات فاجنار في بادئ الأمر بالسخط كذلك كان شعور سائر الشعوب الأخرى تجاهها. وما كادت تمثل اوبرته

تانهويزر في باريس حتى قابلها الشعب الفرنسي بسخط لم تقابل به رواية أخرى من قبل وكانت نتيجة ذلك أن سقطت تلك الرواية في فرنسا ولم تمثل في كل فرنسا في ذلك الحين إلا ثلاث مرات. وبذلك اتسع ميدان القتال أمام فاجنار الذي أصبح عليه لا إن يجاهد فقط أمام شعبه بل أمام جميع شعوب أوربا التي أظهرت عدم ارتياحها لذلك النوع الجديد من الأوبرات واضطر للسفر إلى تلك المماليك حتى يباشر بنفسه تمثيل رواياته ويدخل في الجهاد مع تلك الشعوب وجهاً لوجه فسافر إلى إيطاليا ثم إلى باريس وعاد بعد ذلك إلى ألمانيا.

جاء عام ١٨٦٤ لصاحب الترجمة بحظ كبير إذ سافر إلى مدينة ميونخ ليباشر فيها تمثيل اوبرته تريستان وايزولدا فلم يكد يصادفه ملك بايرن ويشاهد تلك الاوبرا حتى جعله رئيساً وايزولدا فلم يكد يصادفه ملك بايرن ويشاهد تلك الاوبرا حتى جعله رئيساً لإدارة المدرسة الموسيقية في ميونج كما أمر ببناء مدرسة جديدة خاصة بتعليم الاوبرات برأس صاحب الترجمة إدارتها أيضاً.

ظهرت بعد ذلك اوبرته مايسترسنجر (Meistersinger) التي تزوج على أثرها في سنة ١٨٧٠ للمرة الثانية بابنة الموسيقار الشهير فرانس لست.

وفي سنة ١٨٧٦ ظهرت حلقته المسماة Ring der Nibelungen وهي عبارى عن أربعة اوبرات تعتبر أولاهما مقدمة للثلاثة الأخرى وتلك

الأربعة أوبرات هي راينجولد (Rheingold) وفالكيرا (Walkure) وزيجفريد (Siegfried) وجيترديمرونج Gotter-dammerung وقد ظل فاجنار يحضر في تلك الحلقة أكثر من خمسة عشرة سنة وقد جاءت أقوى ما أخرجه الفن الألماني حتى اليوم. وعلى أثر تمثيلها لأول مرة أمر ملك بايرن ببناء مسرح خاص يجهز بكل ما تحتاجه روايات فاجنار من الاستعدادات.

ولم يتيسر لكل المسارح تمثيل أوبرات تلك الحلقة لما تحتاجه من الاستعدادات الهائلة التي قلما توجد في أكبر مسارح عواصم الممالك المختلفة فكان هذا سبباً في عدم انتشارها خارج ألمانيا.

وأما فاجنار نفسه في ذلك الوقت فقد عاش بفضل ملك بارين في سعة وأصبح في استطاعته التفرغ لفنه. وفي سنة ١٨٨٢ ختم أعماله بأوبرته الكبيرة الخالدة المسماة بالبرسيفال (Parsival) ثم أنهكه طول الجهاد وتقدمه في السن فاعتزل الفن وعمد إلى الراحة وسافر إلى إيطاليا وسكن بمدينة البندقية ومات بها بعد زمن قليل إذ توفى في ١٣ فبراير سنة ١٨٨٣ بالسكتة القلبية.

* * *

تلك هي حياة ذلك البطل الذي كان في مقدوره أن يزكي في شعبه ثم في سائر الشعوب الأخرى نار الثورة الفنية مبرهناً للعالم أن خير ما

**يجب أن تقوم عليه الثورات هو الاقتتال والكفاح في سبيل الفن. لا الطمع في الغزو وتسلط القوي على حقوق الضعيف.**

**وقد مات فاجنار قبل أن يشهد انتصاره. كما يوجد حتى اليوم الكثيرون ممن لا يستطيعون فهم موسيقاه. غير أنه يعيش الان في قلب كل محب للفن عاشق للمسرح كما يتمتع العالم بأسره بمخلفاته في كل يوم.**

(٧)

## يوهانس برامس

(Johannes Brahms)

**ولد في همبرج في ٧ مايو سنة ١٨٣٣**

**وتوفي بفينا في ٣ أبريل سنة ١٨٩٧**



**يوهانس برامس**

(Johannes Brahms)

أول من نوج إلى همبرج من أسرة صاحب الترجمة هو والده الذي كان موسيقياً ثم قصدها رغبة تكسب العيش فالتحق فيها بالفرقة الموسيقية لدار الأوبرا. ثم رزق بصاحب الترجمة في ٧ مايو سنة ١٨٣٣ وقد عاشت الأسرة في أشد حالات الفقر وكانت طفولة برامس الصغير غاية في البؤس وأصبحت نفسه هادئة تميل إلى السكون. أخذ الطفل يتعلم التوقيع على البيانو غير أنه لم يظهر في ذلك السن من النبوغ ما يجعله في عداد أطفال المعجزات ولكن ذلك النبوغ ظهر جلياً وهو في الأربعة عشرة من عمره وقد تبين فيه استاذه ماكس ذلك الاستعداد فعمل على اظهاره ومساعدة مواهبه على النضوج. ظل صاحب الترجمة في همبرج حتى العشرين من عمره ثم قال في عام ١٨٥٣ بأول رحلة فنية له. سافر إلى مدينة ليبزج فطبعت له فيها عام ١٨٥٤ أول ما كتب من الأغاني وبعض قطع للبيانو ثم جاء في رحلته إلى مدينة فايمار حيث كان يقيم الأستاذ الموسيقي لست الذي أعجب ببرامس الصغير أكبر اعجاب ومن محاسن ما حدث في ذلك الوقت إن زار صاحب الترجمة مدينة جيتنجن وكان عليه أن يوقع في احدى الحفلات على البيانو مشتركاً في ذلك مع الآوركستر فلما حان وقت التوقيع لاحظ أن ألحان البيانو منخفضة نصف نغمة عن الألحان الأصلية وبذلك وقع زوناتة بيبهوفن التي كان عليه توقيعها بعد نقلها من C-moll إلى Cis-moll بدون سابق تحضير لذلك ووقع مع الأوركستر كأن لم يكن بالبيانو أي نقص.

وقد سافر صاحب الترجمة بعد ذلك إلى مدينة دسلدورف وتعرف فيها بالموسيقار الشهير شومان الذي كان فرحه ببرامس لا يوصف وقد

كتب عليه في المجلة الموسيقية بتلك المدينة ما أكسبه عظيم الشهرة وما شرفه وأعلى قدره وقد ربطتهما أقوى روابط الصداقة وظل برامس يحمد فضل شومان حتى بعد موته فقد ظل برامس صديقاً لأسرته يتردد عليها حتى مات.

وقد أصبحت مدينة دسلدورف مقام برامس غير أنه خرج منها إلى جيتنجن وهانوفر لدراسة الموسيقى في جامعتهما وقد ظهر له في تلك المدة عدة فرديات للبيانو ومجموعة كبيرة من الأغاني. ثم اشتغل في دسلدورف رئيساً لفرقة موسيقية واستمر كذلك حتى عام ١٨٥٩ فعاد إلى مسقط رأسه.

وقد امتاز برامس بجودة توقيعه على البيانو ولم يفوقه في ذلك غير لست وبذلك كان لتوقيعه تأثير غريب على سامعيه.

وفي عام ١٨٦٣ رحل إلى فينا وجعلها مقامه طول باقي حياته. وقد اشتغل هناك رئيساً لأكاديمية الغناء وبعد ذلك رئيساً لجمعية أصدقاء الموسيقى وكان ذلك أكبر مركز موسيقي في فينا وقد التف حوله هناك من الأصدقاء والانصار ما سهلوا عليه نشر الحانه وترويج شهرته. وقد كان سليم الجسم قوي البنية بشكل يندر وجوده وقد ظل كذلك حتى أصيب بمرض وهو في الرابعة والستين من عمره قضى عليه وتوفى بفينا في ٣ أبريل سنة ١٨٩٧.

* * *

كان صاحب الترجمة شديد التعلق بالألحان القديمة ووجوب مجاراتها وعدم الخروج عنها وكان ذلك نقيض ما يراه فاجنار وبذلك بعد أن أقام فاجنار ثورته الفنية كان برامس زعيم الحزب المعارض له وكان الناس في ذلك الحين يقولون فاجنار أو برامس وأما اليوم فلا يمكن لأحد إلا أن يقول فاجنار وبرامس.

كانت ألحان باخ وموتسارت وبيتهوفن المثل الأعلى الذي يقتدي به برامس في صوغ ألحانه وقد خلف بعده إذا استثنينا موسيقى الأوبرات من جميع صنوف الألحان عديدها. وله من قطع السنفوني أربعة تبلغ شهرتها عنان السماء وهي أهم سنفوني ظهرت بعد موت بيتهوفن حتى اليوم كما كتب قطعتين غراميتين في صباه وله من نوع الأوفرتيرا قطعتان أحداهما مأساة والثانية طرب وسرور أهداها لجامعة برسلاو في إحدى أعيادها على أثر انعامها عليه بلقب دكتور شرف وقد أطلق على تلك القطعة "اوفرتيرا الاكاديمية" وأهم الحان صاحب الترجمة هي قطعته المسماة Deutsche Requiem وهو لحن ديني لقطعة من الانجيل.

ولم يكن برامس ممن تمطرهم عبقريتهم الالحان بغير اجتهاد وتعب كما كان يفعل شوبرت أو موتسارت أو كما وصف شيللر زميله بل يعد برامس من هؤلاء الذين كتبوا أجهدوا أنفسهم غاية جيتا بقوله "يكفيه لمس بسيط لشجرة الفن لتتساقط عليه يانع ثمارها" الاجهاد بقوله "يكفيه لمس بسيط لشجرة الفن لتتساقط عليه يانع ثمارها" الاجهاد وإذا ما ظهر نتاجهم ظهر ناضحاً لا يجاريه أحد.



# أشهر مشاهير إيطاليا

(١)

## يولقيم روزيني

(Giochimo Rossini)

ولد في بيسار ويف ٢٩ فبراير سنة ١٧٩٢

وتوفي في باريس في ١٣ نوفمبر سنة ١٨٦٨

عاش جوسيبي روزيني والد صاحب الترجمة في بيسارو وهي مدينة إيطالية صغيرة قريبة من بحر الادرياتيك وكان موسيقياً يعزف على النفير كما كانت زوجته ذات صوت حسن غير أنهما لم يستخدما الموسيقى والغناء في التكسب بل لمجرد الانس والطرب داخل بيتهما. وكان جوسيبي هذا معروفاً في المدينة بشدة وطنيته حتى أنه كاد يحتلها الفرنسيون سنة ١٧٨٩ حتى قبض عليه واودع في السجن بتهمة التحريض على الثورة.

سكن جوسيبي السجن وترك زوجته Anna وولدها الصغير يواقيم الذي كان في السادسة من عمره لا يجدان من يعولهما وقد سدت أبواب الرزق في وجه الام المسكينة حتى تعسر عليها اكتساب ما يقوتهما ولم يكن لها من مشجع على الاستمرار في الكفاح في سبيل تلك الحياة الصعبة غير حبها لولدها الذي ما كاد ينمو ويحتاج للغذاء الخارجي حتى

ازدادت حاجياتهما وتضاعف واجب الأم المسكينة التي أصبح عليها أن تسعى لعيش طفلها معها. واضطرت أمام تلك الحاجة أن تكسب من فن الغناء فحملت كفلها على ذراعيها وأخذت تجوب البلدان. بعد ذلك انضمت إلى فرقة تمثيل هزلية كانت تنتقل في القرى الطليانية للتمثيل سيما أيام الأعياد والمواسم واجتهدت الأم في الوقت نفسه أن تجهز ولدها بأسرع ما يمكن لاكتساب العيش بنفسه. ثم ظهرت أن لها استعداد خاص للمسرح فأخذت تنتقل من فرقة إلى أرقى منها حتى أصبحت المغنية الأولى في دار الأوبرا في بولونيا. وهنا تحسنت حالتها المعيشية. وفي الوقت نفسه أفرج عن زوجها وخرج من السجن فاشترطت على مدير الأوبرا أن يضم زوجها وولدها للعمل في أوركسترا المسرح الأول للعزف على النفير الأول والثاني على النفير الثاني وهددته بخروجها من المسرح إذا لم يقبل هذا الشرط فاضطر المدير للقبول أمام احتياجه إليها وعلى ذلك أصبح الثلاثة قادرين على التكسب فخف عليهم عبء الحياة. وما هي إلا فترة وجيزة لم تتجاوز السنتين حتى تسرب إليهم القدر وغدر بهم الدهر ثانية فاستغنى المدير عن الوالدة المسكينة وأخرجها من مسرحه هي وزوجها وولدها فاضطروا للتجوال ثانية في البلدان للتكسب. وقد لوحظ على الطفل أنه ذات عبقرية في الموسيقى غير أن المسكين لم يكن لديه من الوقت ما يمكنه من تعهد تلك العبقرية ورعايتها وذلك لشدة احتياج أبويه إليه فقد كان يجوب معهما شتى البلدان فيقيمون فيها حفلات مختلفة Konzert وكان الوالد يضرب على النفير والابن على البيانو ثم يغني كذلك مع والدته.

بلغ صاحب الترجمة الخامسة عشرة من عمره واستطاع أبواه أن يرسلاه إلى مدرسة بولونيا الموسيقية وقد كانت جميع معلوماته حتى الأن مكتسبة من نفسه. هنا أخذ يستريح لأول مرة في حياته من حياة التجوال فأقبل بشغف على تلقي الفن الحقيقي الأمر الذي طالما كانت تصبو إليه نفسه غير أن حظه السيء أبى إلا أن يلازمه حتى في تلك الفرصة الأولى فقد كان هم أستاذه ماتاي (Mattei) أن يدرس له موسيقى الكنائس الشيء الذي لم يرق صاحب الترجمة إذ كانت نفسه تطمح لأن يكون ملحناً لروايات الأوبرا فاضطر أمام ذلك إلى ترك المدرسة ولم تزل معلوماته الموسيقية سطحية جداً. ثم صادفه حسن الحظ فتقابل بنابغين من أكبر نوابغ الموسيقى الألمانية وهما موتسارت (Mozart) وهايدن (Hayden) فاستفاد منهما بعض الاستفادة.

افتتح صاحب الترجمة أعماله في التأليف الموسيقي وهو في السادسة عشرة من عمره ففي سنة ١٨٠٨ افتتح أول أعماله بتلحين أنشودة صغيرة ثم تعدى ذلك إلى تأليف عدة سنفوني للاوركستر وبعض رباعيات للآلات الوترية ويف سنة ١٨١٠ طلب منه تياترو البندقية أن يلحن له رواية فلحن له أوبرا هزلية ذات فصل واحد وهي المسماة La Cambiatee di matrimonto وقد نالت من اعجاب الشعب ما جعله يعتقد أنه حقق أمنيته وأنه أصبح ملحناً للأوبرات.

غير أنه كان تحت تأثير ثلاثة عوامل نفسية وقفت في سبيل تقدمه وعاقته عن اظهار عبقريته في شكلها النقي الذي وهبته له الطبيعة. أول

تلك العوامل أن أثرت على نفسه حياة التجوال وهو طفل فأصيب بحب الإسراع في العمل وعدم الثبات والتريث وأصبح لا طاقة له على الصبر كما أصيب بالإهمال فكان يهمل كل ما يطلب منه تلحينه حتى إذا ازف الوقت وحانت آخر فرصة أقبل على انجاز عمله. أما العمل الثاني فهو قلة معلوماته في الموسيقى النظرية إذ لم تعجبه دروس استاذه في مدرسة بولونيا كما قدمنا ذكره ولم يستفد من موتسارت وهايدن إلا ما جاءه منهما على سبيل الصدفة. والعامل الثالث أنه كان مضطراً لاكتساب العيش فكان يقبل كل عمل يطلب منه تلحينه حتى ولو لأجر زهيد جداً. وقد كان يتعجل في التلحين رغبةً انجاز كثير من القطع في أقصر وقت ليزداد كسبه وقد كانت نتيجة ذلك أنه في سنة ١٨١٢ لحن ما لا يقل عن خمسة أوبرات وتلك الروايات وإن لم تخل من جمال موسيقي مبتدع يكشف عن النبوغ إلا أنها جاءت كأنها معمولة في (فاوريقة). تكلف فيها الكثير من الالحان كما أدخل فيها الكثير من التكرار فضلاً عما اقتبسه فيها من موسيقى الأوبرات القديمة التي لحنها سالفوه. وقد اضطر أستاذه Mattei أن يكتب إليه ما يأتي "أن ألحانك لا تسرني مطلقاً وأنك ستسيئ سمعة مدرستي" فأجابه صاحب الترجمة بقوله "لو لم أكن مضطراً لاكتساب العيش لابتدعت من الالحان ما يعجبك وما يشرف مدرستك" والحقيقة أن المسارح كانت تنظر إليه كشاعر موسيقي Komponist يكفيه القليل لتسخيره في كثير من أعمالها.

غير أن تلك الثلاث عوامل المتقدمة التي وقفت في سبيله لم تعق عبقريته من الظهور والتغلب عليها شيئاً فشيئاً. وفي سنة ١٨١٣ لحن

أول رواية خلدت له وهي المسماة Tancredi وقد صادفت من إعجاب الشعب ما جعلها تنتشر في أنحاء إيطاليا في وقت قصير جداً ولم يمر عشر سنين حتى كانت تتغنى بجمالها كل أوروبا وتمثل فوق جميع مسارح دور الأوبرا المختلفة وفي السنة نفسها لحن روايته المسماة L'Italiano in Algeria وفي سنة ١٨١٥ روايته اليابصات (Elisabette) وفي سنة ١٨١٦ روايته الخالدة المشهورة بحلاق اشبيليه (Barbiere di Seviglia) وفي السنة نفسها لحن لمسرح روما رواية عطيل (Othello) في مدة لم تزد عن الثلاثة عشر يوماً ثم كثرت في ذلك الوقت اوبراته بشكل مدهش فاشتهر في عصره منها ما اشتهر وسقط منها الكثير وتنوسيت لأنه لم يجد تلحينها.

سافر بعد ذلك إلى نابلي ثم اضطر بعد قيام الثورة فيها للرحلة إلى فينا ثم عاد بعدها ثانية إلى إيطاليا سنة ١٨٢٣ وفي تلك السنة لحن روايته سيمراميس (semiramis) ثم سافر بعد ذلك إلى لندن وهناك نال حظاً وافراً من المال والشرف ثم سافر بعدها إلى فرنسا وقد لقبه الشعب الفرنسي بمدير الغناء وسيده وأعطي في فرنسا مرتباً سنوياً قدره عشرون ألف فرنكاً.

وقد أثر مقام روزيني في باريس على نفسيته فتعمق في موسيقاه وترك التسرع في التلحين فلحن في ذلك الوقت أخلد رواية له وهي Wilhelm Tell وتلك الاوبرا هي أعلى ما وصلت إليه عبقريته وهي الاوبرا التي يدين له العالم بها حتى اليوم. ومن سنة ١٨٣٠ أعني على

أثر تلحينه تلك الأوبرا الخالدة إلى سنة ١٨٦٨ رغب أن يتمتع بلذة انتصاره فعكف على الحياة الساكنة في قصره في باريس واعتزل الموسيقى ولم يظهر له في خلال تلك المدة الطويلة التي زادت عن الثمانية والثلاثين سنة من الالحان غير بضعة قطع للكنيسة لا تستحق الذكر حتى أنه عندما توفي بباريس في ١٣ نوفمبر سنة ١٨٦٨ لم يشعر العالم بفقده إذ أنه كان قد مات موتاً فنياً قبل موته الحقيقي بما يقرب على الأربعين سنة.

مات روزيني وهو في السادسة والسبعين من عمره بعد أن لحن ٥٧ مجلداً منها ٣٩ أوبرا. وقد أوصى قبل موته أن تنفق كل ثروته في تشييد معهد للموسيقى في مدينة بيسارو مسقط رأسه وقد شيد المعهد وسمي باسمه.

* * *

كان الطليان يلقبون روزيني بملك الالحان والحقيقة أنه ابتدع الكثير من الالحان وأخلد جميع أعماله روايتان الأولى "حلاق اشبيليه" التي امتازت بالموسيقى التي في استطاعتها التعبير عن كل ما جاء بالرواية من خفة الروح ومستظرف النكات المختلفة. كما أن موسيقاها تبعث في النفس السرور والثانية وهي أخلد من الأولى رواية Wilhelm وليس أكبر دلالة على قيمتها الفنية من خلودها لليوم والعناية بتكرار تمثيلها في جميع دور أوبرات المدن الأوروبية المختلفة بالرغم عما استحدث بعدها

من الفن وما ظهر بعدها من الأوبرات الحديثة بل وبالرغم من تغير الأذواق من عصر إلى عصر.

وكان لروزيني مكانة خاصة حصل عليها بما أظهره من نبوغه الفني ففقد دعاه كارل العاشر ملك فرنسا إليه كما وقع وهو وجورج الرابع ملك الانجليز بعض القطع الموسيقية. وكثير ما كان يستدعيه مترنيش (Metternich) الحاكم الألماني (الذي كان يطلق عليه في هذا الوقت حاكم اوربا) غير مرة على مائدته.

أما من جهة أخلاقه الشخصية فقد رماه الكثيرون بالبخل والواقع أنه وهو حديث السن فقيراً جداً حتى أنه كتب أكثر أعماله شبابة وهو في سرير نومه وذلك لعدم استطاعته تدفئة غرفته وقد كان ذلك داعياً له أن يقدر قيمة المال فيحتفظ به عند اكتسابه له. وقد ظل طول عمره متصفاً بالإهمال وتأجيل الأعمال إلى آخر فرصة وله في ذلك نوادر عدة.

وأما ميله الفني فقد كان لا يميل للموسيقى الفرنسية كما كان ينظر إلى الموسيقى الألمانية نظرة المتطلع إلى ما لا طاقة له عليه وكثيراً ما كان يردد تلك الجملة "أن الالحان الفرنسية لا أميل إليها والالحان الألمانية لا أستطيع أن أجاريها فدعنا نشرب نخب بيتهوفن وموتسارت".

وأول تمثال أقيم له هو تمثال المقام بمدينة بيسارو مسقط رأسه وقد أقيم في ميدان البرلمان في أيام حياته.

(٢)

## جيتانو دونيزيتي

(Gaetano Donizitti)

ولد في برجامو في ٢٩ نوفمبر سنة ١٧٩٧

وتوفي بها في ٨ أبريل سنة ١٨٤٨

لقد أوجد روزيني في الاوبرات الطليانية ما يصح أن يطلق عليه أول تطور فني ثم خلق تلميذاه بلليني (Bellini) إلى ١٨٣٥) وصاحب الترجمة اللذان نهجا في موسيقاهما منهجه ونسجا في أوبراتهما على منواله ثم خلفهما فردي فتطور بالاوبرات الطليانية إلى أحدث نوع.

ولد صاحب الترجمة في ٢٩ نوفمبر سنة ١٧٩٧ في مدينة برجامو الطليانية موسيقياً. ولكنه بدأ يتعلم التوقيع على بعض الآلات كغيره من كثير من الأطفال وقد زهر فيه صغره استعداد عظيم للنبوغ في الموسيقى غير أن والديه لم يهتما بذلك. ثم أرسلا به فيما بعد إلى مدينة بولونيا ليدرس الحقوق بها فالتحق هو بمدرستها الموسيقية وأخذ يدرس على الأستاذ ماتاي الذي كان مدرساً لروزيني من قبل وقد ظهر له أثناء دراسته بتلك المدرسة عدة سنفوني وبعض رباعيات وترية وكثير من قطع الكنيسة وكان شديد الاهتمام بتحصيل تلك العلوم مجداً في الدرس.

صادف روزيني في ذلك الوقت من الانتصار والشهرة ما أغرى صاحب الترجمة على نهج منهجه والعمل في تلحين الاوبرات وقد أخرج وهو في الحادية والعشرين من عمره أول أوبرا له لمدينة البندقية فقابلت من النجاح ما شجعه على المضي في ذلك السبيل وغدا من ذلك الحين اختصاصياً في تلحين الاوبرات وقد ظهر له بعد ذلك بزمن قليل سلسلة منها غير أنه لم يستطع أن يظهر في ألحانها روحًا خاصة له بل كانت تتمشى في جميعها روح روزيني. استمر كذلك حتى عام ١٨٣١ فكتب لمسرح ميلان أول اوبرا ظهرت في ألحانها روحه الخاصة وتلك هي anna Bolena التي ما كادت تمثل في ميلان حتى انتقلت بسرعة مدهشة إلى مسارح فينا وباريس وبتروغراد وفي الأربعة سنين التالية أعني من عام ١٨٣١ إلى عام ١٨٣٥ ظهر له أكثر من ٢٢ أوبرا أشهرها الخمسة الاتية: (١) L'elisira d'amore (٢) Marino Falliero (٣) Lucrezia Borgia (٤) Belisario (٥) Lucia di Lamarmoor.

ثم حاز في عام ١٨٦٤ لقب بروفسير وانضم في نفس السنة إلى مدرسة نابلي الموسيقية وكانت وظيفته بها مدرسًا ورئيساً لفرقتها ولم تكن تلك الوظيفة لتقيد عبقريته عن أن تفيض بألحانها فاستمر في إخراج أوبراته كما كان من قبل وكانت مدة ١٤ يوماً كافية له لإظهار أكبر تلك الأوبرات.

غدت شهرته تطبق أنحاء إيطاليا بل وسائر ممالك أوروبا المختلفة لا سيما بعد موت زميله بلليني واعتزال روزيني العمل في الموسيقى بعد

أوبرته ولهلم تل (Wilhelm tell) فقد انفرد صاحب الترجمة وحده بالشهرة وبحب الشعب الطلياني.

وفي عام ١٨٤٠ سافر إلى باريس وكتب بها في نفس السنة أوبرته المشهورة Tochter des Regiments وفي تلك السنة نفسها ظهرت أكبر أوبرا له وهي المسماة favoritin وهي من النوع الجدي. ثم سافر بعد ذلك إلى فينا وظهرت له هناك أوبرته linda di Chamounix ثم عاد بعدها إلى باريس ثانية واستمر في اخراج أوبراته تباعًا. وقد كان لمقامه في باريس تأثير كبير على موسيقاه كما كان لروزيني من قبله وقد ظهرت من ذلك الحين في أوبراته روح جديدة تغاير روحه من قبل وآخر ما كتب أوبرتان في عام ١٨٤٣ غير انهما لم تنالا من النجاح ما نالته اوبراته السابقة وفي نفس هذه الأيام بينما كان يحضر في اوبرا جديدة أصيب بمرض عضال استمر يضعف من قواه شيئًا فشيئًا حتى فقد خاصة التكلم ونصح له الأطباء مغادرة باريس والعودة إلى إيطاليا فعاد إلى برجامو مسقط رأسه حيث توفى بها في ٨ أبريل سنة ١٨٤٨ وكان في الحادية والخمسين من عمره.

لحن صاحب الترجمة ٧٠ أوبرا أشهرها ما سبق ذكره كما ترك بعده عديد القطع للاوركستر والكنيسة وثنائيات كثيرة للآلات. ومع قدرته الهائلة في صوغ الالحان فإن قوته على ابتداع ما يجعل لموسيقاه روحاً خاصة لم تصل به إلى درجة تخليد جميع أعماله.

وكان من طبعه القناعة والتواضع على ما بلغه من الشهرة واجلال مواطنيه له كما كان كثير الصمت تميل نفسه إلى الحزن وقد ظهر ذلك جلياً في ألحانه بالرغم من تعمده في كثير من الأحيان خلطها بروح المزح لا سيما في أوبراته الهزلية.

وكانت تربطه بروزيني أقوى روابط الصداقة والإخلاص.

(٣)

## جوسيبي فردي

[Giuseppe Verdi]

**ولد في بوزيتو في ١٠ أكتوبر سنة ١٨١٣**

**وتوفى في ميلان في ٢٧ يناير سنة ١٩٠١**



**جوسيبي فردي**

Giuseppe Verdi
"Breitkopf & Hartels Kleine Musikerbiographien"

**يعد صاحب الترجمة مثلاً فينا نادر الوقوع إذ بينما يعد من أكبر ملحني الأوبرات القديمة كروزيني ودونيزيتي وغيرهما إذا به يعد في الصف الأول من ملحني الأوبرات الحديثة كريشارد فاجنار وغيره. فهو موسيقي مخضرم انتصر في الثلثين الأولين من القرن التاسع عشر انتصاراً باهراً في تلحينه للأوبرات القديمة كما انتصر انتصاراً جديداً في الثلث الأخير من ذلك القرن في تلحين الأوبرات الحديثة. وقد ساعده نبوغه على التمشي مع الزمن والتنقل من قديم لحديث.**

**تعد عظمة فردي فيما أودعه في اوبراته من بديع الالحان وفيما أحكم وضعه من رباعيات الآلات الوترية وفي القطع المختلفة التي وضعها للكنيسة فجاءت كلها ملأى بجمال الموسيقى.**

**ولد جوسيبي فردي كما يولد الكثيرون من أبطال العالم من أبوين فقريرين في قرية إيطالية صغيرة تدعى بوزيتو في ١٠ أكتوبر سنة ١٨١٣ ومن محاسن الصدف أنه ولد في نفس السنة التي ولد فيها نابغة الأوبرات ريشارد فاجنار البطل الألماني المشهور (٢٢ مايو سنة ١٨١٣).**

**كان كل ما يمتلكه والد صاحب الترجمة محل عطارة صغير وكان من الفقر لدرجة أنه لم يستطع أن يربي طفله تربية موسيقية بالرغم مما تبينه فيه من استعداده للنبوغ في ذلك الفن. غير أن عبقرية ذلك الطفل لم تعدو من يهتم بتهذيبها وتنميتها إذ لاحظ أحد أغنياء تجار القرية**

مواهب الطفل النادرة فتبناه ونقله إلى بيته ثم اعتنى بتربيته وارسله إلى مدرسة ميلان الموسيقية في سنة ١٨٣٢ لتتميم دراسته وما هي إلا بضع سنين قلائل قضاها في تلك المدرسة حتى أصبح بعدها رئيساً لفرقة الموسيقى في مسرح الفيلهارموني في بوزيتو. ثم تزوج بأبنة من تبناه غير أنه لم يمض على زواجه بها غير القليل حتى ماتت ومات طفلان له منها. وقد بلغ من تأثير ذلك المصاب عليه ان ترك العمل في موسيقى المسرح مدة سنتين كاملتين. عاد بعد تلك المدة إلى استئناف العمل بغير انقطاع وظل يلحن الكثير من الأوبرات ناسجاً في الحانها على منوال سلفه من نوابغ إيطاليا كروزيني وبلليني وغيرهما من معاصريه الذين كان لهم تأثير على كل ما يؤلف من الأوبرات في جميع مسارح إيطاليا. لذلك اضطر فردي أن يجاري تلك الموسيقى حتى يشتهر اسمه كزملائه ثم يستطيع بعد ذلك ابتداع ما يشاء فلحن أول اوبرا له في ميلان سنة ١٨٣٩ ثم الثانية ثم الثالثة وقد قابلها الشعب بكل اعجاب.

وتلك اوبرات هي ما نسميها باوبرات القديمة. استمر فردي كذلك حتى سنة ١٨٥١ إذ كان في التاسعة والثلاثين من عمره فافتتح له عهد جديد في التلحين وأخذ يبتدع في أوبراته من الالحان ما جعلها لا تناسب بينها وبين ما لحنه في الماضي وقد أخذ انتصاره من ذلك التاريخ يقوى باستمرار في أوبرا بعد أخرى حتى وصل فردي إلى أعلى ما يمكن أن تصل إليه عقريته في أوبراته الثلاثة الخالدة وهي Rigoletto المشهورة في مصر بمضحك الملك و Troubadour و Traviata المشهورة باسم "غادة الكامليا" وكانت الأولى في سنة ١٨٥١ والأخيرتين في سنة

١٨٥٣. وإذا كان للألحان الطليانية ميزة أو جمال أو لقوة التلحين الروائي وجود أو لفن الموسيقى أثر في النفس أو للإنسان قوة على إيجاد أحسن ما يمكن من الابتداع فقد استطاع فردي أن يرينا كل ذلك مجسماً بأكبر ما يمكن في تلك الأوبرات الثلاثة المذكورة التي تنطق بكل تلك الميزات.

ثم كتب فردي بعد ذلك بضعة أوبرات لم تبلغ في الجودة ما بلغته تلك الأوبرات الثلاثة وظل كذلك حتى لحن رواية "عائدة" في سنة ١٨٧١ وكان ذلك بأمر إسماعيل باشا خديوي مصر الذي أنعم عليه بأربعة آلاف جنيهاً نظير تلحينه تلك الأوبرا. وقد بلغ فردي في "عائدة" ما بلغه في الثلاث أوبرات السابقة ثم لحن بعد ذلك النشيد المصري المشهور الذي أهداه للخديوي. (وهو الذي ظل مستعملاً في مصر حتى اليوم). وفي سنة ١٨٨٧ لحن رواية "عطيل" وفي سنة ١٨٩٣ أعني وهو في سن الثمانين لحن أوبرته الأخيرة المسماة Falstaff ومن المدهش أن روح التعب أو شيخوخة السن لم تكن لتظهر مطلقاً في أوبراته الأخيرة بل جاءت كسابقاتها كلها ألحان رقيقة مبتدعة.

وقد بلغ فردي من الشعب الطلياني منزلة الملك يقابل بالترحاب أينما سار كما يقابل اسمه بالتبجيل أينما ذكر.

# أشهر مشاهير فرنسا

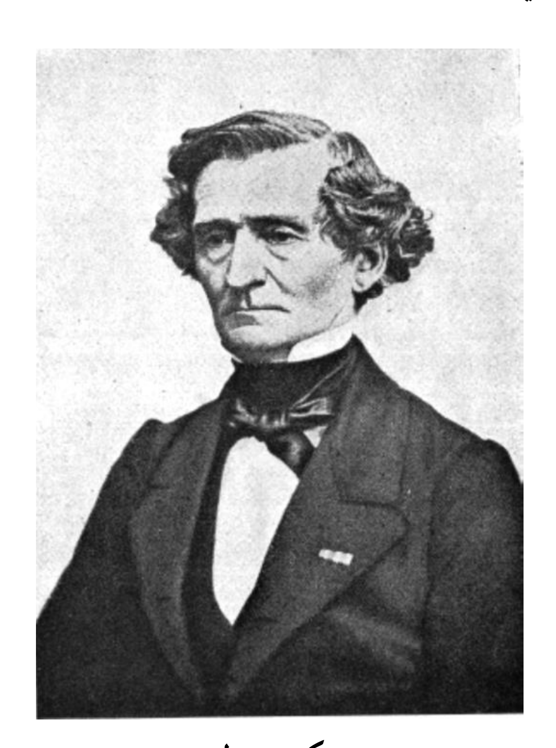
(١)

## هكتور بيرليوز

(Hector Berlioz)

**ولد في كوتا سنت اندري في ١١ ديسمبر سنة ١٨٠٣**

**وتوفي بباريس في ٩ مارس سنة ١٨٦٩**



هكتور بيرليوز

Hector Berlioz

يعتبر صاحب الترجمة أكبر شخصية موسيقية بفرنسا في الثلث الأول من القرن التاسع عشر فقد تطور بالموسيقى وادخل عليها من التعديل ما أعيا معاصروه عن مجاراته فيها. وهو أول من سعى في اتصال الشعر بالموسيقى وأول من أوجد النوع المسمى بالموسيقى ذات المنهج الشعري (Programm-Musik) الذي يضطر سامعه لتتبع روح اللحن ومعانيه عند سماعه كما يقيد الملحن نفسه عند التلحين بالتمشي مع الشعر والخضوع لمعانيه. وهو أول من فكر في ادخال الدراما في الموسيقى وكما تطور اللورد بيرون الشاعر الإنجليزي الكبير- الذي كان للموسيقى تأثير عظيم جداً على نفسه سيما موسيقى موتسارت- بالشعر الأوروبي وفيكتور هوجو الشاعر الفرنسي المشهور كذلك عمل صاحب الترجمة معهما يداً بيد في تطور الموسيقى ولم يكفه السعي في ربط الموسيقى بالشعر بل نظر إلى أبعد من ذلك واجتهد في مزجها بالفلسفة فتمشى في الكثير من الحانه مع شوبنهور ونيتشه الفيلسوفان الالمانيان المعروفان وبذلك تم على يده من الانقلاب الموسيقي والتطور بها إلى ما يسمى بالموسيقى الحديثة وكانت أفكاره وموسيقاه هي الأساس التي بني عليها فاجنار جميع أعماله فيما بعد.

* * *

ولد صاحب الترجمة في (كوتا سنت اندري) وهي مدينة فرنسية صغيرة وكان والده طبيباً بها وقد عقد النية على اخراج ولده طبيباً كذلك فأرسل به إلى المدارس الابتدائية فالثانوية ثم أرسل به وهو في التاسعة

عشرة من عمره إلى باريس للالتحاق بجامعتها رغبة دراسة الطب. التحق صاحب الترجمة بذلك القسم وأخذ يدرس علم الجراحة. وبدأ من ذلك الحين يتردد على دار الكتب هناك وكان يجد له غراماً خاصًا بمطالعة ما كتب عن الموسيقى والأوبرات لا سيما ما كتبه جلوك (Gluck) وبيتهوفن وبدأت تزيد فيه تلك الرغبة شيئاً فشيئاً بالنسبة لكثرة اشتغاله بها حتى كتب لوالديه رسالة جاء فيها: "وإنني أصبحت لا أستطيع الحياة بغير الموسيقى ولا يمكنني إلا أن أكون موسيقياً". وكان من جراء ذلك أن غضبت والدته عليه ومنع عنه ووالده ما كان يرسله له من المال مما تستلزمه نفقات الإقامة في باريس غير أنه تحمل ذلك لشدة تعلقه بالفن وعكف على دراسة الموسيقى النظرية وما هو إلا وقت قصير حتى أصبح مدرساً لهذا العلم في احدى مدارس باريس وأخذ يهتم بتوقيه الآلات حتى كان عام ١٨٢٥ لحن قطعتين من نوع الأوفرتيرا وقد ظهر فيهما مقدار تأثير شعر فيكتور هوجو على نفسه.

ثم بدأ يشتغل بتلحين فاوست (كسنفوني لا كاوبرا) التي وضعها جيتا الشاعر الألماني الكبير وقد تم له ذلك وصادفت من النجاح ما أكسبه شهرة عظيمة. وفي عام ١٨٣٠ نال الجائزة الأولى في مسابقة لحن فيها قطعته Sardanapal وهي من شعر بيرون الشاعر الإنجليزي.

وفي تلك السنة أصيب بحب الممثلة الإنجليزية هنريتا سميثسون وكانت ذائعة الصيت وقد أصيب بحبها من أول نظرة بينما كانت تمثل احدى الأدوار وقد لاقى في حبها من العذاب ما لاقاه شوبين في غرامه

فضلاً عما سببه له انفصاله عن أبويه من البؤس وآلام النفس حتى اضطر في عام ١٨٣١ إلى مغادرة جميع فرنسا والرحلة إلى إيطاليا عله يجد فيها سلوته وهناك أخذ يتردد على اساطين الفن من الفرنسيين والايطاليين وقد كان لمقامه في روما من التأثير أن ظهرت الروح الطليانية في جميع ألحانه ابتداء من ذلك الحين.

غير أنه لم يستطع أن يتناسبني غرامه فعاد ثانية إلى باريس عام ١٨٣٣ وكانت تلازمه دائماً فكره تشابه حبيبته هنريتا بجولييت التي وضعها شاكسبير في روايته "روميو وجولييت" وتمكنت تلك الفكرة من نفسه حتى حملته سنة ١٨٣٩ على تلحين الرواية (كسنفوني أيضاً لا كاوبرا) وقد تملك حب هنريتا من فؤاده حتى أتت عليه فترة كان لا يكتب إلا لها وإذا لحن تجسمت في ألحانه روح الحب من ذلك قطعة السنفوني الخالدة المسماة Scenes de la vie d'un artiste التي يصف فيها خطرات عاشق وقد ظهر في تلك السنفوني مقدار ما كان لموسيقى بيتهوفن من التأثير عليه إذ تشابهت ألحانها في كثير من المواضع بالسنفوني التاسع لبيتهوفن.

تزوج بعد ذلك بحبيبته ثم سافر إلى ألمانيا عام ١٨٤٢ وقضى بها سنتين اشتغل خلالهما بتوقيع ألحانه والعمل على شهرتها وقد ساعده لست الموسيقي الألماني على ذلك إذ ما كاد يزوره صاحب الترجمة في مدينة فايمار حتى خصص لست أسبوعاً كاملاً لتوقيع الحانه فقط وسماه

"أسبوع بيرليوز" وقد صادفت ألحانه في ألمانيا من النجاح أكثر مما صادفته في بلاده الفرنسية.

سافر بعد ذلك إلى الروسيا وإلى أغلب ممالك أوروبا وأخذ يتنقل بين مختلف المدن لنشر موسيقاه حتى مات بباريس في ٩ مارس سنة ١٨٦٩.

* * *

يلقب صاحب الترجمة بأب الموسيقى ذات المنهج ويقترن اسمه دائماً بتلك التسمية وقد عاش طول حياته في جهاد مستمر للسعي في نشر ما أدخله في موسيقاه من المستحدثات كما عاش فاجنار بعده في هذا الجهاد. ولم يقتصر على وضع الالحان بل وضع في أدبيات الموسيقى من الكتب ما جعله في عداد كتاب الدرجة الأولى من ذلك الفن وتعد كتبه أكبر كنز في تلك الأدبيات حتى اليوم ومن أشهر تلك المؤلفات كتابه المسمى فن الآلات (Traite d'instrumentation).

وقد وضع في سنة ١٨٥٤ أحسن مؤلف له واسمه "رئيس الأوركسترا" (Le chef d'Orchestre) وقد أدخل عليه ريشارد اشتراوس الموسيقار الألماني الشهير (الذي لا يزال على قيد الحياة) من التنقيحات ما يجعله موافقاً للعصر الحاضر.

وقد اهتم صاحب الترجمة بالاوركستر اهتماماً زائداً فوسع دائرة بعض الآلات كالهارب والنفير الإنجليزي وغير ذلك كما أنه أول من استعمل في الاوركستر الغربي من الآلات الضاربة ما يضبط الوحدة الموسيقية أثناء التوقيع (كوظيفة الرق في التخت المصري).

وأهم ما اشتهر له من القطع خلاف ما سبق ذكره هو سنفوني هارولد (Harold) وقصيدة هوجو "المساجين" (La prisonniere).

وأشهر أوبراته ثلاثة هي Benvenuto Cellini و Beantrice et Benedicte و les Troyens.

(٢)

## فريدريك شوبين

Frederic Chopin

ولد في فارسوفيا في أول مارس سنة ١٨٠٩

وتوفي في باريس في ١٧ أكتوبر سنة ١٨٤٩



فريدريك شوبين

Frederic Chopin

"Breitkopf & Hartels Kleine Musikerbiographien"

ولد والد صاحب الترجمة بمدنية نانسي وقد اعتنيا به والداه أشد الاعتناء ثم تعرف وهو في الثامنة عشرة من عمره بأحد البولنديين الذي أغراه على الرحلة معه إلى بولندا فرحلوا سوياً إلى وارسوفيا ثم عاش بها واتخذها موطناً له. وكانت بولاندا في ذلك الوقت موضع انقلابات سياسية شديدة إذ تغير شكل الحكومة وتبدلت القوانين فيها وانقسم الشعب على نفسه بين معضد للحكم الجديد وبين معارض فيه. وكان يعمل والد صاحب الترجمة في تلك الحركة السياسية كأنه بولندي صميم وقد ظل طول حياته يشعر بذلك الشعور. ثم تزوج بعد ذلك بإحدى البولنديات ورزق منها في أول مارس سنة ١٨٠٩ بمولود سماه فرانكو فريدريك شوبين ولم يعش له من الأولاد سوى هذا الطفل الذي هو صاحب الترجمة والذي نبغ فيما بعد في فن الموسيقى حتى أصبح في صوغ ألحان البيانو والتوقيع عليه أحسن موسيقي أخرجته فرنسا.

لم يطل العهد بعد مولد هذا الطفل حتى ظهرت مواهبه الموسيقية بما أدهش جميع أقاربه فالتزم والده ابتداء تدريس تلك العلوم به بالرغم من صغر سنه غير أنه لم يكن ليقبل ما يأتيه به معلمه من الالحان عن طيب خاطر بل كان يميل إلى توقيع الحان نفسه فكان يجتهد دائماً أن (يقسم) على البيانو ثم يجتهد بعد ذلك في كتابة تلك الالحان مع أنه لم يكن قد تعلم النوتة الموسيقية بعد وقد اتقن الطفل التوقيع على البيانو بسرعة مدهشة جداً حتى أنه وهو في التاسعة من عمره وقع على البيانو في حفلة عامة أقيمت في وارسوفيا فكان أحسن من وقع في ذلك

المساء وبلغ من اعجاب الجمهور به أنه لم تقم حفلة ما في المدينة بعد تلك الحفلة إلا ودعي إليها شوبين الصغير.

وكان الطفل ينتهز وقت فراغه من الدروس فيخرج إلى ضواحي المدينة ليخلو فيها بنفسه ويتمتع هناك بمنظر الشمس والماء وخضرة الأشجار وجمال الغابات ثم يعود بعد ذلك إلى المدينة فيجلس أمام البيانو ويخرج ما أودعته له الطبيعة من أسرار جمالها في بديع ألحانه وكان من عادته حتى وهو طفل أن يسترسل في التوقيع على البيانو عدة ساعات متتالية بدون أن يهتم بتدوين ما يصوغه من الالحان.

وقد رأى والده ضرورة الاهتمام بطفله أكثر من ذلك فبعث به إلى أكبر موسيقي في مدينة وارسوفيا وهو يوسف السنر الملحن الكبير الذي لحن عديد الأوبريتات ووضع كثيراً من القطع وكان مديراً للكنسرفتوريوم الموسيقى بتلك المدينة. بدأ المعلم المذكور يدرس لع علم صوغ الالحان وقد نهج معه نهج هايدن مع بيتهوفن في أن يتغافل بعض الاحايين عما تعده القواعد أو النظريات الموضوعة خطأً موسيقياً إذا خرج الصغير في ألحانه عن تلك التقييدات. ولم يكن شوبين ليسيء الظن بأستاذه كما فعل بيتهوفن بل كان على النقيض من ذلك إذ ظل يعترف بفضله طول أيام حياته ولم يكن ليطبع له لحن ما في وارسوفيا إلا ويطلع عليه استاذه قبل النشر حتى أثناء مقامه في باريس فيما بعد فإنه كان يرسل لمعلمه جميع ألحانه للاطلاع عليها.

سافر الطفل إلى ألمانيا والنمسا ليتعرف بأبطال الفن ويقف على حالة الموسيقى هناك ثم عاد ثانية إلى وارسوفيا في سنة ١٨٢٩ بعد أن اختمر في رأسه من تلك الرحلة كمية هائلة من الالحان كتبها بمجرد عودته. غير أنه أصبح لا يلذ له المقام في وارسوفيا الصغيرة بعدما رأى ما عليه الفن في فينا وبرلين وأصبح يعتقد أنه إذا لم يغادر بولندا فستظل ألحانه بعيدة عن التناول تجهلها البلاد الخارجية كما يحرم هو سماع نقد الفنيين عليها لذلك عزم على العودة ثانية إلى وطنه فرنسا ليقيم في عاصمتها باريس واستأذن أهله في عمل رحلة فنية تستغرق مدة سنتين فأذنوا له وغادر فارسوفيا سنة ١٨٣٠. ولم يكن ليدور بخلد أحد أنه لن يعود إليها.

لم يرحل شوبين مباشرة إلى باريس بل أخذ ينتقل في البلدان الألمانية أكثر من سنة وقد قضى معظم هذا الوقت في مدينة ميونخ وقد تصادف أنه تعرف بالموسيقي الألماني الكبير شومان (وهو أصغر من شوبين بسنة واحدة) ولما سنعه في احدى الحفلات يوقع على البيانو احدى قطع موتسارت نهض شومان من مكانه ووقف أمام الجمهور وقال "خشوعاً أيها السادة ولنحي تلك العبقرية النادرة".

وفي سنة ١٨٣١ أتاه في ميونخ خبر زواج سيدة بولندية كان يحبها فكان لذلك المصاب أشد وقع في نفسه وبلغ من شدة آلامه أنه لم يستطع المقام بعد ذلك في ألمانيا وسافر إلى باريس أملاً في أن يصادف هناك عزاءه.

أوجد شوبين في باريس برحلته إليها حياة موسيقية جديدة وقد صرح كثير من علماء الموسيقى هناك ان الفن ولد فيها من جديد وقد ذاع صيته ورغب الاستقلال عن والده واكتساب عيشه بنفسه فلجأ إلى إعطاء الدروس ولم يكن يظهر رغبته في ذلك حتى أقبل عليه التلاميذ من كل فج وأخذ يتقاضى نظير تلك الدروس مبالغ طائلة عاش بها في سعة. وقد تعرف في سنة ١٨٣٥ في باريس بفتاة بولندية وأخذا يتبادلان الزيارات حتى أحبها وهام بها غراماً ثم تركته وتزوجت بغيره. فأصيب قلبه بجرح آخر ألمه أكبر ايلام وقد كان كثير التفكير فيها حتى أصيب من جراء ذلك بمرض في أعصابه وأخذ يتزايد مرضه سنة عن سنة حتى ضعف وأصيب بمرض في الرئتين (وصفه بعض المؤلفين بأن سل). وفي سنة ١٨٤٧ جاء خبر موت أبيه فتضاعف حزنه وسافر في سنة ١٨٤٨ إلى لندن على أمل أن يبتعد عن حبيبته ويتناسى مصابه في ابيه غير أنه لم يتيسر له ذلك إذ تملكت الأحزان فؤاده ولم يعد في استطاعته مغالبتها فعاد إلى باريس ومات في ١٧ أكتوبر سنة ١٨٤٩. وقد أقيم أول تمثال له في وارسوفيا سنة ١٨٨٠.

* * *

مات شوبين ولم يعمر طويلاً وقدد أوقف نفسه طول حياته للبيانو فلم يتعداه إلى التوقيع على أية آلة أخرى سواه ولم يخلد له من الالحان غير القليل بالنسبة لمخلفات غيره وذلك لعدة أسباب منها أنه كان يصوغ أكثر ألحانه لنفسه ليجد فيها عزاءه فلم يهتم بتدوينها كما أنها جاءت

غاية في الصعوبة تتطلب من موقعها مقدرة هائلة ودراسة خاصة فضلاً عن أن موسيقى شوبين جاءت كلها ملأي بالعواطف والتقلبات النفسية فقد ينتقل في اللحن الواحد من غزل إلى طرب ثم إلى حزب ثم سرور ثم يعود إلى أشد الالام وذلك مما يتطلب من موقع تلك الالحان بجانب المقدرة الفنية الخاصة نفساً شعرية يكون في مقدورها التمشي مع ما تمثله تلك الألحان من العواطف.

وأهم ما خلد له هو ثلاثية وبضعة قطع للبيانو مع متابعة الفيولين شيللو (Violincello) وبضعة مجموعات للأغاني وقطعتين كبيرتين للبيانو وهما المعروفان تحت اسم F-moll و E-moll Klavierkonzerte.

(٣)

## شارل جونود

(Charles Gounod)

**ولد في باريس في ١٧ يونيو سنة ١٨١٨**

**وتوفي في سنت كلود في ١٨ أكتوبر سنة ١٨٩٣**

**ذاع صيت أسرة جونود في الفنون الفرنسية منذ منتصف القرن الثامن عشر فقد اشتهر جد صاحب الترجمة في الفنون الحربية كما كان والده فرنسوا جونود من أمهر المصورين.**

**توفي فرنسوا المذكور والد صاحب الترجمة عام ١٨٢٣ بعد أن رزق بولده بزمن قليل ولم يترك لأرملته المسكينة غير هم التفكير في العيش هي وأطفالها والكد في تحصيل قوتهم وكانت لتلك الوالدة مواهب خاصة في التصوير والموسيقى وقد أظهر صاحب الترجمة في صغره من استعداده للنبوغ الموسيقي ما وفر على والدته عناء التفكير في اختيار ما سيحترف به ولدها في كبره فعملت على تجهيزه لأن يكون موسيقياً وبدأت بنفسها التدريس له ثم أرسلت به إلى أساتذة الفن في**

باريس ثم التحق فيما بعد في عام ١٨٣٦ بمدرسة باريس الموسيقية (كونسرفانوريوم) بعد أن جهز بأساس من الموسيقى متين وقد درس في تلك المدرسة على أكبر أساتذة باريس في هذا الوقت البروفسير هاليفي (Halevey) (١٧٩٩– ١٨٦٢ ملحن أوبرا Die Judin). ثم أظهر من النبوغ ما جعل الحكومة الفرنسية ترسله إلى الخارج على نفقتها لتتميم دراسته فسافر إلى إيطاليا وقد ظهر له هناك ميل خاص للموسيقى القديمة فعكف على دراستها بنشاط نادر وقد تعشق الموسيقى الألمانية وتعلق بها لدرجة أنه قبل عودته إلى باريس سافر إلى برلين وليبزج وفينا.

عاد إلى باريس فأسندت إليه إدارة إحدى الفرق الموسيقية وأهم ما وضعه في ذلك الحين قطعتان من نوع السنفوني (Es-moll و D-dur) وفي عام ١٨٥٣ تزوج بابنة أحد أساتذة مدرسة باريس الموسيقية البروفسير تسمرمان وقد كان هذا الزواج فاتحة حياة جديدة له ولأعماله الخالدة. لحن بعد ذلك ثلاث روايات صغيرة أشهرها Philemon et Baucis ولا تزال تلك الرواية تمثل في فرنسا حتى اليوم غير أنه لم يكن لها من القوة الفنية ما يعمل على انتشارها في الخارج.

والأن ننتقل إلى أكبر عمل من أعماله وهو وضعه أوبرا فاوست الخالدة. كان صاحب الترجمة منذ صغره يتمنى لو يوفق إلى تلحين تلك الرواية وقد بدأ منذ العشرين من عمره في العمل على تحقيق تلك الأمنية وقد تعرف في إيطاليا من الشعراء بمن رجوه اختصار تلك الرواية وتقصيدها بشكل يصلح للتلحين وفي ١٩ مارس سنة ١٨٥٩ مثلت

تلك الأوبرا الخالدة لأول مرة غير أنها لم تصادف نجاحاً عظيماً في بادئ الأمر وأول مرة صادفت فيه قسطها من النجاح كان في مدينة دارمشتات الألمانية عام ١٨٦١ ولم يأت عام ١٨٦٩ حتى اشتهر أمرها في جميع أوروبا وأصبحت من أول الأوبرات المحبوبة لدى جميع المسارح (وهي مشهورة في ألمانيا تحت اسم مرغريت (Margarette) وكان يعترف جونود نفسه أن تلك الأوبرا هي أحسن ما كتب والحقيقة أنه لم يأت في أي عمل من أعماله بمثل ما أتى به في ألحان فاوست. ثم عقب ذلك عدة أوبرات له كان أبدعها أوبرته الخالدة روميو وجولييت التي تعتبر ألحانها من أرق الألحان الفرنسية.

ثم ظهر له مجموعة من الأغاني جمعت فيما بعد في أربع مجلدات ضخمة وجاء الحرب السبعيني عام ١٨٧٠ فغادر جونود فرنسا وسافر إلى إنجلترا ومكث فيها ثلاثة أعوام قضاها في التلحين المستمر وعاد بعد ذلك إلى باريس عام ١٨٧٤ ثم أصيب بمرض في أعصابه منعه عن متابعة الاشتغال بالموسيقى فاعتزل العمل وعاش في عزلة حتى عن أصدقائه ومعارفه.

وتوفي في سنت كلود (وهي مصيف كان يقصده في كل عام) في ١٨ أكتوبر سنة ١٨٩٣ وقد شيعت جنازته على نفقة الحكومة وسار فيها الجيش وعظماء رجال فرنسا مودعين أحد الأقطاب الثلاثة الذين هم فخر الأوبرات الفرنسية وأشهر نوابغها في النصف الأخير من القرن التاسع عشر وهم جونود– بيزت– توماس.

(٤)

## أمبروا توماس

(Ambroise Thomas)

ولد في متز في ١٥ أغسطس سنة ١٨١١

وتوفي بباريس في ١٢ فبراير سنة ١٨٩٦

يعد صاحب الترجمة أحد أقطاب فرنسا الثلاثة الذين تسلطوا على الفن في النصف الأخير من القرن التاسع عشر وهم جونود السابق الذكر وتوماس صاحب الترجمة وبيزت (Bizet) (١٨٣٨– ١٨٧٥) وأشهر مخلداته أوبرا كارمن) وقد عمل على شهرته أوبرتاه الخالدتان منيون (Mignon) رواية حيتا وهملت رواية شاكسبير تلك الأوبرتان اللتان بلغ فيهما أقصى ما يمكن لعبقرية موسيقية أن تبلغه لا سيما في منيون التي قابلت في جميع الممالك الأوروبية عامة والبلاد الألمانية خاصة أكبر ما يمكن من النجاح وقد كان لتوماس في آخر أيامه زعامة الفن في جميع البلاد الفرنسية.

ولد صاحب الترجمة في مدينة متز في ١٥ أغسطس سنة ١٨١١ من أبوين كانت حرفتهما الموسيقى وقد بدأ التوقيع وهو في الرابعة من عمره فهو أصغر من وقع على الآلات فقي العالم بعد موتسارت. وقد

درس والداه له ابتداء من ذلك التاريخ وأخذ يتعلم فن الغناء والتوقيع على البيانو والكمنجة حتى بلغ السابعة عشرة من عمره فالتحق بمدرسة باريس الموسيقية عام ١٨٢٨ ثم ظهر تفوقه على كل الطلبة بشكل أدهش جميع اساتذته ثم أرسلته الحكومة على نفقتها إلى البلاد الطليانية ليرى ما عليه الفن فيها وهناك تقابل مع الكثيرين من مواطنيه المشتغلين بالموسيقى وكان من بينهم بيرليوز. ثم عاد إلى باريس عام ١٨٣٦ بعد أن زار فينا ومعه أول مجموعة من ألحانه التي وضعها في إيطاليا وقد سمي تلك المجموعة تذكار إيطاليا (Souveniers d'Italie) وضمته الاكاديمية الفرنسية إلى عضويتها في عام ١٨٥١ وقد كتب عدداً كبيراً من الأوبرات التي لم تشتهر في غير فرنسا ولم تتعد مسارح تلك البلاد.

وفي سنة ١٨٧١ عين رئيساً لمدرية باريس الموسيقية (الكونسرفاتوريوم) بعد موت مديرها هاليفي وكان هذا المنصب أكبر مركز موسيقي في جميع فرنسا.

سافر بعد ذلك إلى البلاد الألمانية وقصد مدينة فايمار التي كان يقيم فيها الموسيقي المعروف "لست" وهناك لحن اوبرته "سمسون ودليله" ومثلت فيها لأول مرة وكان ذلك عام ١٨٧٧.

ثم عاد إلى باريس ومات بها في ١٥ فبراير سنة ١٨٩٦ وكان لموته من الاحتفال ما ينبئ حقيقة عن عظيم تقدير مواطنيه له ولأعماله.

* * *

كان توماس ممن يلحنون بالطبيعة بغير تكلف ولم يظهر في جميع أعماله أي أثر للصناعة الموسيقية وأكبر ما خلد له من أعماله أوبرتاه منيون وهملت ثم خلد له كذلك كثير من قطع الكنيسة وعديد الرباعيات والخماسيات الوترية وكثير من قطع البيانو.

# أشهر مشاهير اسكندناوه وشمال أوروبا

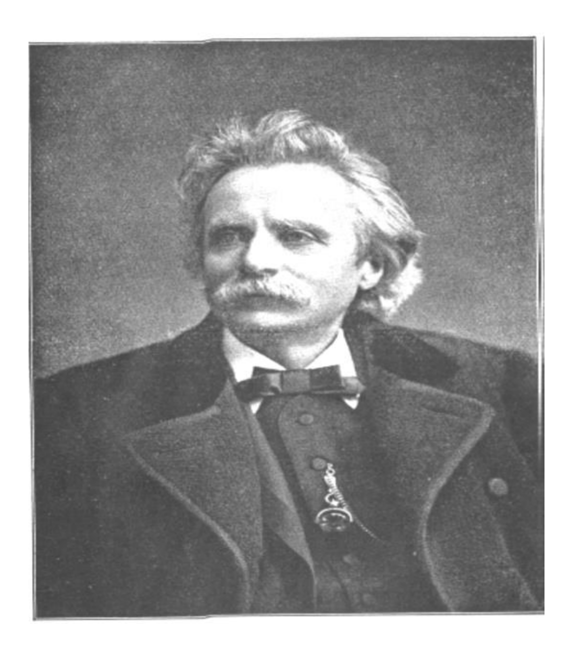
(١)

## ادوارد جريج

(Edward Grieg)

**ولد في برجن (نرويج) في ١٥ يونيو سنة ١٨٤٣**

**وتوفى بها في ٤ سبتمبر سنة ١٩٠٧**



ادوارد جريج

(Edward Grieg)

"Breitkopf & Hartels Kleine Musikerbiographien"

ظلت ممالك أوربا الشمالية (وكذلك روسيا وأسبانيا وانجلترا) بعيدة عن ذلك التنافس الموسيقي حتى أوائل القرن التاسع عشر وبذلك ظلت تلك الممالك طول تلك المدة وليس لها موسيقى خاصة بها وكانت دور موسيقاها ومسارحها المختلفة تحت رحمة ما تخرجه لها المماليك الموسيقية الثلاثة (فرنسا وإيطاليا وألمانيا) من الأوبرات والألحان المختلفة.

بدأت تلك الممالك الشمالية في أوائل القرن المذكور تشترك في التنافس الموسيقي وأشرقت عليها شمس ذلك الفن بعد طول احتجابها عنها. بدأت في تلك البلاد نهضة عامة وأخذ يظهر من أبنائها من في استطاعتهم وضع الأوبرات وقطع الأوركستر الكبيرة والسنفوني وكان أشهر من نبغ في تلك النهضة أدوارد جريج صاحب الترجمة الذي كان في قدرته أن خلق لتلك الممالك موسيقى خاصة بها تظهر فيها روح تلك البلاد وطبائع أهلها وعاداتها. كما أوجد فيها فن الأغاني وموسيقى الرقص على الشكل الفني الحديث. وقد نهج جميع خلفه من ملحني تلك المماليك نهجة فيما استحدثه لهم فبطولة صاحب الترجمة لا تقتصر على ما خلد له من الأغاني والالحان كغيره ممن سبق ذكرهم في كتابنا هذا بل تتعدى ذلك إلى استحداثه موسيقى خاصة لمواطنيه.

ولد صاحب الترجمة بالنرويج في مدينة برجن في ١٥ يونيو سنة ١٨٢٣ وكان والده قنصلاً كما كانت والدته ذات المام تام بفن الموسيقى الذي درسته دراسة وافية. بدأت الام تدرس لطفلها ذلك الفن فظهر فيه من صغره ميله إلى استحداث نوع جديد من الموسيقى ثم أرسلاه بعد ذلك في

سنة ١٨٥٨ إلى ألمانيا فالتحق بمدرسة ليبزج الموسيقية وظهر له استعداد خاص للبيانو فعكف على تعلمه.

عاد إلى بلاده بعد انتهاء دراسته وهنا بدأ يظهر نبوغه بشكل مدهش بعد أن وجد من مواطنيه أكبر مشجع له. غير أنه لم يكتف بما حصله من العلوم ولم يجد في بلاده من يستطيع الاستفادة منه فسافر في سنة ١٨٦٣ إلى كوبنهاجن وأخذ يدرس على نابغة الدانيماركة ميلس جادا ثم سافر بعد ذلك إلى كرستيانيا وأسس هناك في سنة ١٨٦٧ الجمعية الموسيقية التي لا تزال أوربا تقطف يانع ثمارها حتى اليوم. رحل بعد ذلك رحلات فنية كبيرة فسافر إلى إيطاليا ثم إلى ألمانيا وانجلترا وفرنسا غير أنه لم يطل مقامه فيها إذ كان غرضه مجرد زيارة فنية لتلك البلاد. وقد استفاد من رحلاته استفادة عظيمة دل عليها عديد ما كتبه للبيانو وما لا يحصى من الأغاني بعد عودته إلى وطنه في سنة ١٨٨٠. لم يغادر مدينة برجن بعد ذلك إلا نادراً وكان مسكنه قصر كبير وسط حديقة جميلة كما كانت زوجته مغنية وهي التي عملت على شهرة أغانيه.

كتب صاحب الترجمة أكثر ألحانه في الأغاني أو قطعاً للبيانو وامتاز بإدارته للفرق الموسيقية بمقدرة خاصة. وقد أهدته جامعة كمبردج لقب دكتور شرف في الموسيقى كما اعطته اكاديمية برلين لقب عضو عامل وقد أوقف له الملك أوسكار الثاني مرتباً سنوياً من المال ولم يكن ذلك من طريق المساعدة بل مكافأة وتشجيعاً له.

* * *

لقد أسمع جريج جميع مواطنيه بل وسائر ممالك أوربا الشمالية بما استحدثه لهم من الموسيقى وبذلك أصبحت منزلته عندهم كبيرة جداً واحترامهم له ليس فقط لما خلقه لهم من الفن بل لما شرفهم به بين سائر الممالك الأوروبية الأخرى إذ غدت بلاده تفخر بين تلك الممالك بأن لها بطلاً يعد في مصاف أكبر نوابغ ملحني العالم.

وقد أصيب صاحب الترجمة بمرض لم تطل مدته فتوفى على غير انتظار في مدينة برجن في ٤ سبتمبر سنة ١٩٠٧ بعد أن ترك وراءه شهرة لا يمكن أن ينطفئ سراجها الوهاج وخلد من كثير ألحانه ما يجد فيها كل محب للفن بغيته وسعادة نفسه.

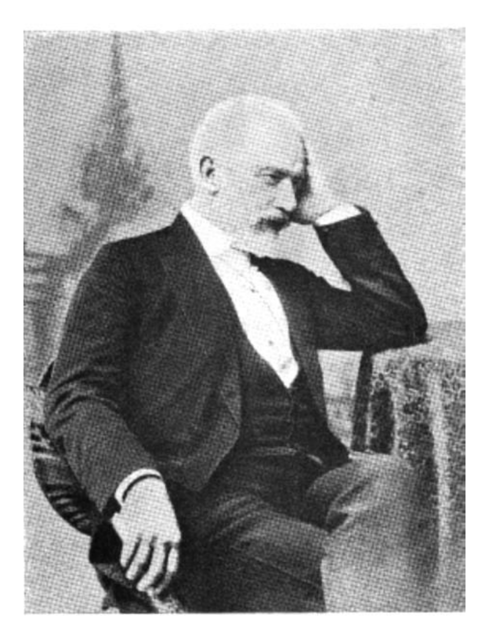
(٢)

## بطرس تشيكوفسكي

Peter Tschaikowsky

**ولد بمدينة وتكنسك (روسيا) في ٢٥ إبريل سنة ١٨٤٠**

**وتوفى بمدينة سنت بطرسبرج في ٢٥ أكتوبر سنة ١٨٩٣**



بطرس تشيكوفسكي

Peter Tschaikowsky

ظلت الموسيقى الروسية الحديثة كموسيقى ممالك أوروبا الشمالية تحت رحمة ما يخرجه لها نوابغ الدول الموسيقية الثلاثة ألمانيا وإيطاليا وفرنسا ولم يكن لروسيا موسيقى خاصة بها حتى النصف الأخير من القرن التاسع عشر ثم بدأت النهضة الموسيقية وتطورها العظيم تظهر في تلك البلاد من ذلك الحين. وكان صاحب الترجمة ممن أكبر مسببي هذا التطور وأهم أركان تلك النهضة الحديثة. وهو أول من استطاع أن يخلق شيئاً يسمى بالموسيقى الروسية تبني ألحانه على قواعد الفن الحديث كما كان في قدرته أن يضع فيما كتبه من قطع السنفوني الكبيرة جداً فاصلاً بين الموسيقى الغربية والموسيقى الروسية. وقد بلغ من قوته الموسيقية أنه لا يزال حتى اليوم المثل الأعلى الذي ينسج على منواله له جميع ملحني تلك البلاد.

لم يكن أحد في جميع البلاد الروسية حتى ذلك الحين ليفكر في صغره في أن يحترف في المستقبل بالموسيقى فيجهز نفسه لتلك المهنة منذ طفولته لذلك جاء جميع نوابغ هذا الفن في تلك البلاد ممن بدأوا حياتهم الموسيقية بصفتهم غواة لهذا الفن لا أكثر من ذلك ثم انقلبوا فيما بعد إلى الاشتغال به بعد أن ظهرت لهم فيه مواهب خاصة. وكذلك كان صاحب الترجمة وذلك لأن مهنة الموسيقى لم تكن لتصادف من أهالي تلك البلاد ما يليق بها من الاحترام.–

كان والد صاحب الترجمة رئيساً لإحدى الفابريقات في مدينة وتكنسك (Wotkinsk) الروسية ثم رزق به في ٢٥ أبريل سنة ١٨٤٠

ولم يكن لأحد من أفراد الأسرة أي ميل للموسيقى وبذلك دفنت عبقريته الصغير طول أيام طفولته بعيشة في وسط بعيد عن هذا الفن وأهله. التحق الطفل بإحدى المدارس الفرنسية في تلك المدينة وتربى بها تربية فرنسية محضة ثم انتقلت جميع أسرته فيما بعد إلى سنت بطرسبرج فانتقل معها.

وفي سنة ١٨٥٠ انتهى من دراسته الثانوية والتحق بمدرسة الحقوق في تلك المدينة ثم جاز امتحانها النهائي والتحق بوظيفة في وزارة الحقانية.

بدأ أثناء دراسته بمدرسة الحقوق يظهر فيه ميله لسماع الموسيقى ثم تعدى ذلك إلى أخذ دروس خصوصية في التوقيع على البيانو وأخذ يزيد تعلقه بالموسيقى يوماً عن يوم حتى انتهى من دراسة الحقوق والتحق بالحقانية وهنا بدا يتنازعه عاملان عامل عشقه للموسيقى ورغبته التفرغ لدراستها بتركة وظيفته وعامل الفقر الذي أصيبت به أسرته والذي يضطره للبقاء في تلك الوظيفة للحصول على المال- ظل بين هذين العاملين ثلاث سنين طوال تغلب في آخرها العامل الأول على الثاني فترك وظيفته عام ١٨٦٢ قصد التفرغ لفن الموسيقى الذي ملك عليه نفسه.

عكف من ذلك الحين على دراسة هذا الفن درساً حقيقياً والتحق بالمدرسة الموسيقية بسنت بطرسبرج فبدأت تظهر عبقريته التي ظلت كامنة فيه طول تلك المدة بالرغم من عدم تعهده إياها أو رعايته لها طول

تلك السنين وفي عام ١٨٦٦ جاز امتحان الموسيقى بفوز لم يسبقه في البلاد الروسية مثيل ونقل بعده مدرساً في المدرسة الموسيقية التي بنيت في مدينة مسكو في ذلك العهد ثم اعطى فيها لقب بروفسير.

وقد بدأ في ذلك التاريخ يظهر أمام شعبه كبيانست غير أنه كان كثير الحياء سريع العصبية وقد قلل ذلك من أهمية توقيعه على البيانو وبالرغم من اجادته هذا التوقيع كما كان حياؤه كذلك حائلاً بينه فيما بعد وبين اجادة إدارة فرقته الموسيقية حتى عند توقيع الحانه والحقيقة أن كل من اختلط به يشهد له بأنه أرق الناس شعوراً وأكثرهم حياء وأكبرهم قناعة.

وفي عام ١٨٧٨ ترك صاحب الترجمة موسكو على ما كان فيه بها من سعة العيش وبدأ يقوم برحلاته الفنية في جميع البلاد الأوروبية. سافر إلى باريس فأظهر الشعب الفرنسي اعجابه العظيم بع. وما كاد يصل إلى إنجلترا حتى اهدته جامعة كمبردج سنة ١٨٩٣ لقب دكتور في الموسيقى. ثم سافر إلى ألمانيا وأقام في همبرج ثم عاد ثانية إلى بطرسبرج وما كاد يقيم فيها بضعة شهور حتى تفشى داء الكولرا في تلك الجهات وأصيب هو نفسه بتلك العدوى يوم ٢٠ أكتوبر سنة ١٨٩٣ وما هي إلا خمسة أيام بعد تلك الإصابة حتى قضى عليه المرض وتوفى في ٢٥ أكتوبر من السنة المذكورة. وقد لبس الشعب الروسي عليه من الحداد ما لا يلبسه شعب عند فقد فاتح أو ملك عظيم مما جاء دليلاً على عظم تقدير مواطنيه له.

وألحان صاحب الترجمة كثيراً جداً أغلبها من النوع المحزن وقد ضاع كثير منها ولم يمكن جمعه حتى اليوم وذلك لأنه كلن يلحن في كثير من الأحايين لنفسه. وكان ولعاً بالمسارح كثير التردد عليها وله سلسلة اوبرات أهمها الأوبرا المسماة Eugen Onegin واشتهر غيرها اوبرتان أحداهما Pique Dame والثانية Jolanthe وقد خلدت له تلك الاوبرات وتمثل باستمرار حتى خارج البلاد الروسية. وأهم جميع أعماله هي السنفوني السادسة المشهورة باسم H-moll. وقد ظهرت في بطرسبرج قبل موته بأشهر قلائل وقابلت من جميع الشعوب أكبر اعجاب كما أتت له بأعظم شهرة. وقد لحن غير ذلك كونسرت للبيانو وآخر للكمنجة وله من القطع المختلفة للبيانو ومن الأغاني وقطع الرقص العديدة أرق ما يمكن لنفس بشرية ابتداعه وقد نمت كل تلك الأعمال عن عبقرية من أكبر العبقريات الموسيقية.

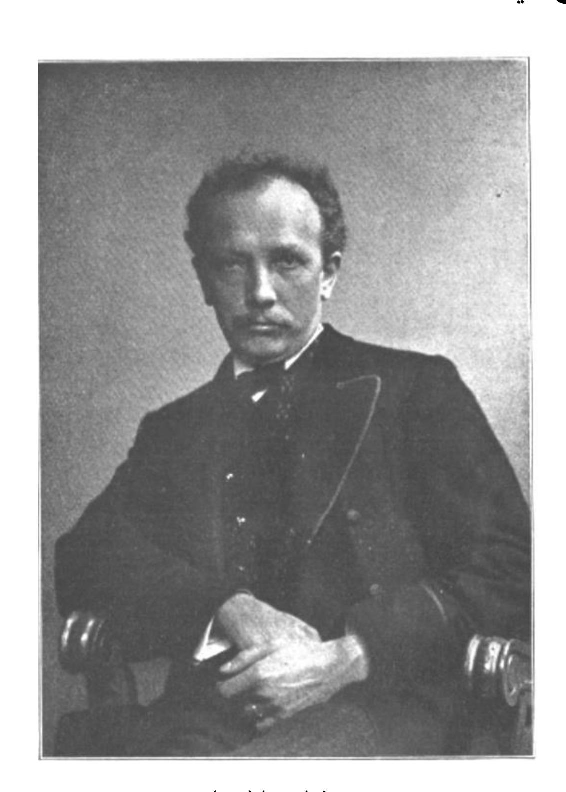
# أشهر مشاهير العصر الحاضر

(١)

## ريشارد اشتراوس

Richard Straub

ولد في ميونخ في ١١ يونية سنة ١٨٦٤



ريشارد اشتراوس

Richard Straub

"Breitkopf & Hartels Kleine Musikerbiographien"

**يعد صاحب الترجمة أقوى عبقرية موسيقية في العالم في الوقت الحاضر وقد وضع حتى الأن من القطع المختلفة والأوبرات العديدة ما يجعله في مقدمة نوابغ هذا الفن من عهد موتسارت حتى اليوم وقد شهد له أهل الموسيقى في جميع ممالك أوربا وأمريكا بالوحدانية في فنه وتفوقه على جميع معاصريه. وكان في صغره معارضي فاجنار الذين لا يميلون إلى موسيقاه وذلك لشدة تأثير والده عليه فقد كان والده البروفسير فرانس اشتراوس أحد موسيقي البلاط الملكي بميونخ من أكبر معارضي فاجنار حينما رحل الأخير إلى تلك المدينة عام ١٨٦٤ وقد استمر فرانس اشتراوس يعمل دائماً مع المعارضين وأما ولده صاحب الترجمة فإنه ما كاد يتردد على الأستاذ فرانس لست ويتبحر في الفن حتى تغير رأسه في موسيقى فاجنار وأصبح من أكبر أنصارها كما غدا هو خليفة الموسيقى ذات المنهج في العالم بعد موت فاجنار وكما أخذ فاجنار على عاتقه الجهاد في سبيل نصرة ذلك النوع من الموسيقى بعد بيرليوز كذلك تولى اشتراوس زعامة ذلك الجهاد بعد فاجنار.**

* * *

**ولد صاحب الترجمة في ميونخ الألمانية في ١١ يونيو سنة ١٨٦٤ وأرسل وهو في السادسة من عمره إلى المدرسة الابتدائية ثم بدأ أثناء دراسته بها تعلم التوقيع على البيانو والكمنجة وعلم الموسيقى النظرية ثم ظهر له من الاستعداد الموسيقي ما جعل جميع معارفه يطلقون عليه منذ صغره لقب "شاعر الموسيقى" (Komponist) وقد ظهر من ألحانه هو لا**

يزال بالمدارس الثانوية رباعية وترية وسنفوني (D-moll) وقد نالتا في ميونخ أكبر قسط من النجاح ولم يكد يبلغ الثانية والعشرين ممن عمره حتى اعطى لقب "المدير الموسيقي الملكي لمقاطعة بايرن" واسندت إليه إدارة التياترو اللكي بميونخ ثم سافر بعد ذلك إلى مدينة فايمار ثم إلى ميونخ ثانيةً ثم إلى برلين حيث اعطى فيها لقب "المدير الموسيقي الملكي لبروسيا" واسندت إليه الإدارة الفنية لدار الاوبرا ببرلين وفي عام ١٩٠٨ أسند إليه بجانب وظيفته المتقدمة إدارة السنفوني في فرقة الامبراطور وأعطى لقب " المدير الموسيقي العام لبروسيا". ثم ضم مدرساً لعلم الموسيقى النظرية بمدرسة الموسيقى العليا ببرلين.

* * *

سافر صاحب الترجمة إلى جميع الممالك الأوروبية فصادفت أعماأله من النجاح أكبر ما يمكن أن يتصور سيما في باريس وروما ولندن وفينا ونيويورك وأشهر أعماله أوفرتيرا (C-moll) وقد كتبها وهو في الحادية والعشرين من عمره وسنفوني (F-moll) وكونسرت للكمنجة وكثير من الرباعيات الوترية وسنفوني اطلق عليها اسم Aus Italien وسنفوني Don Juon و "ماكبث" وقصيدة نيتشه المسماه تساراتوسترا (Zarathustra) ودون كويزوت (Don Quixote) وأهم أوبراته روزنكافالير (Rosenkavalier) وزالومي (Salome) وله غير ذلك عديد الاوبرات التي تعد موسيقاها من ابدع ما يمكن غير أنه قلل من قيمتها عند الشعب أنه لغزارة مادته ابدع ما يمكن غير أنه قلل من قيمتها عند

**الشعب أنه لغزارة مادته في التلحين يضع للاوركستر من الالحان ما يجعله يتغلب دائماً على الغناء في المسرح.**

* * *

**يشتغل صاحب الترجمة بجانب وضع الالحان بوضع الكثير من المؤلفات في أدبيات الموسيقى كما يشترك في العمل في كثير من مجلاتها المشهورة وقد اعطى عناية خاصة لتنقيح ما وضعه سالفوه في الماضي حتى تظل مؤلفاتهم موافقة للفن في الوقت الحاضر. وإذا تتبع الإنسان حياته يجدها عبارة عن جهاد فني مستمر.**

(٢)

## يواقيم بوتشيني

Giacomo  Puccini

**ولد في لوقا (إيطاليا) في ٢٢ يونيو سنة ١٨٥٨**



**يواقيم بوتشيني**

Giacomo  Puccini

**ولد في لوقا (إيطاليا) في ٢٢ يونيو سنة ١٨٥٨.**

يعد صاحب الترجمة أكبر ملحني العصر الحاضر في إيطاليا وثاني ملحني العالم بعد ريشارد اشتراوس. وقد اشتهرت أسرته في البلاد الطليانية بنبوغ أهلها في هذا الفن وكان والده موسيقياً كما كان جده كذلك. ولد في ١٢ يونيو سنة ١٨٥٨ بمدينة لوقا ثم تلقى أول دروسه الموسيقية في أسرته ثم التحق بمدرسة ميلان الموسيقية (كونسرفاتوريوم) وقد ظهر له من الالحان ما جعل صيته ينتشر في جميع البلاد الطليانية ولم ينتشر في العالم الا ابتداء من عام ١٨٩٦ على أثر وضعه اوبرته بوهيم (Boheme) ثم وضع بعد ذلك أوبرته توسكا عام ١٩٠٠ ثم أوبرته مدام بترفلاي (Madame Butterfly) عام ١٩٠٤.

تلك هي أوبرته الثلاثة التي يدين له العالم بها في كل يوم والتي جاء في ألحانها على أكبر ما وصلت إليه عبقريته وتمتاز موسيقاها بالكثير من الابتداع الذي لم يسبقه إليه غيره.

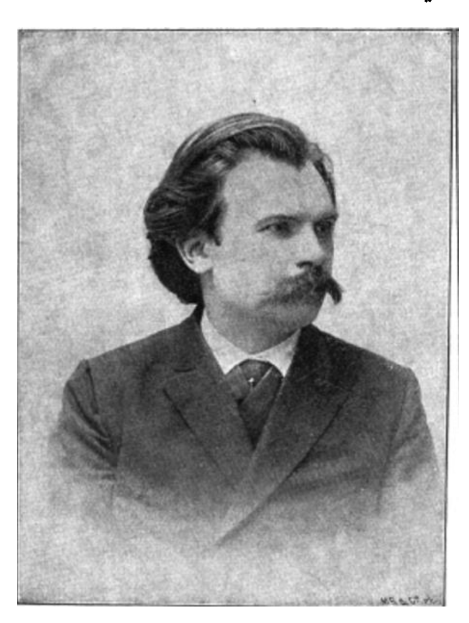
وقد وضع غير ذلك عديد الاوبرات إلا أنه لم يبلغ فيها من الشهرة ما بلغه في أوبراته الثلاثة المتقدمة. وله خلاف الاوبرات عديد القطع للاوركسترا وتمتاز موسيقاه بإظهار العواطف بشكل واضح لا سيما عاطفة الحب وهو من أكبر الموسيقيين المجدين في خدمة الفن.

(٣)

## أويجين دالبرت

Eugen d'Albert

ولد في جلاسجو في ١١ أبريل سنة ١٨٦٤



أويجين دالبرت

Eugen d'Albert

"Breitkopf & Hartels Kleine Musikerbiographien"

يعد صاحب الترجمة ثالث مشاهير العصر الحاضر وقد ولد في جلاسجو في ١١ أبريل سنة ١٨٦٤ وهو ألماني الجنس كانت تقيم

أسرته في مدينة الطونة (المجاورة لهمبرج) وكان ووالده معلماً للرقص فيها وتلقى علومه الموسيقية على أساتذة ألمانية نخص منهم بالذكر فرانس لست.

وقد لحن أكثر من خمسة أوبرات قبل أن يشتهر اسمه في العالم إذ لم تصادف من النجاح قسطاً كبيراً. ثم لحن عام ١٨٩٨ اوبرته المسماة الرحيل (Abreise) فكانت أول أوبرا جذبت نظر العالم إليه ثم لحن بعدها عدة أوبرات صادفت حظاً قليلاً من النجاح وفي عام ١٩٠٣ لحن أوبرته الخالدة تيفلاند (Tiefland) فنالت من النجاح ما جعله في عداد الدرجة الأولى من أهل هذا الفن ثم ظهر له بضعة أوبرات لم تصادف من النجاح ما يخلدها وفي عام ١٩١٤ وضع اوبرته ( Die toten Augen) ومثلت في تلك السنة لأول مرة في درسدن فنالت من النجاح ما خلدها كسابقتها "تيفلاند".

ويعد صاحب الترجمة أكبر بيانست في العالم الآن.

# شرح موجز

لما جاء بالكتاب من اصطلاحات فنية

**دو ري مي الخ** تلك هي النغمات السبعة الأساسية المكون منها السلم الموسيقي وتستعمل تلك التسمية في الموسيقى الطليانية والفرنسية وأما في الألمانية والانجليزية فتقابلها التسمية الاتية:

| دو | ري | مي | فا | صول | لا | سي |
|---|---|---|---|---|---|---|
| C | D | e | f | g | a | h |

وإذا اريد رفع احدى تلك النغمات بمقدار نصف نغمة عن أصلها يقول الفرنسيون والطليان دييز (Diese) فيقولون مثلا ري دييز وفا دييز وهكذا كما يضع الالمان بجانب النغمة الاصلية المقطع is فيقولون Cis و dis وهكذا وأما الانجليز فيضيفون إلى التمسية الأصلية لفظه sharp فيقولون c sharp و d sharp الخ. وأما في حالة ما إذا اريد انخفاض احدى تلك النغمات بمقدار نغمة عن أصلها فيقول الفرنسيون والطليان بيمول (b moll) فيقولون مثلاً ري بيمول كما يضع الالمان بجانب النغمة الأصلية المقطع es فيقولون ces و des وأما الانجليز فيضيفون إلى التسمية الأصلية لفظة flat فيقولون c flat و d flat.

Dur و moll لفظتان لاتينيتان تستعمل في الموسيقى الألمانية ومعناها الأولى كبير والثانية صغير ويقابلها بالطليانية maggiore و minore وترجع تلك التسمية إلى بناء الحان هذين القسمين بشروط فنية خاصة. وتنقسم جميع الالحان الأوروبية إلى هذين القسمين الأساسيين والأول يستعمل في ألحان الثبات واليقين والفرح والسرور كما تستعمل ألحان القسم الثاني في التردد والحيرة ووصف الالام والحزن. ثم ينقسم كل قسم منهما إلى عدة أقسام أخرى فرعية فيقولون مثلاً c dur و d moll وهكذا وذلك التقسيم يقابل في الموسيقى الشرقية تقسيم ألحانها إلى حجاز وبياتي وصبا الخ.

**اوبريتا** هي عبارة عن رواية تمثيلية هزلية تتخللها الألحان من آن لآخر وموسيقاها بسيطة يراعى في وضعها ذوق وعادات العصر الذي تمثل فيه.

**اوبرا** هي عبارة عن رواية تمثيلية تكون في الغالب ذات مبنى غرامي كلها ملحنة وموسيقاها مركبة يراعى الملحن في وضعها ذوق وعادات العصر الذي وضعت فيه الرواية لا العصر الذي تمثل فيه. وتتطلب الاوبرات في ألحانها من الملحن مجهوداً فنياً كبيراً ومن اتقان الصنعة ما يحفظ رونق تلك الالحان وجمالها في كل عصر من العصور بالرغم من تغير الأذواق والعادات على مرور الزمن فألحان الأوبرا لا تتأثر بالوسط بل بالعكس تكون هي ذات تأثير على ما حولها وهذا النوع من الالحان يسمى بالكلاسيك (Klassik).

**كلاسيك** (Klassik) (انظر شرح أوبرا).

اوفرتيرا هي قطعة من نوع السنفوني توضع للالات فقط ليوقعها الاوركسارا كمقدمة للاوبرا قبل رفع الستار والأوفرتيرا في ألحانها تلخص الحوادث الهامة التي تحتوي عليها الأوبرا أو على الأقل تكون تمهيداً لما سيقع في الفصل الأول.

**اوراتوريوم** تشابه الأوبرا تماماً في تركيبها الموسيقي غير أن ألحانها خاصة بالكنيسة ولا تلقى إلا فيها.

**الثلاثيات والرباعيات والخماسيات الوترية**_عبارة عن قطع توضع خصيصاً للالات الوترية توقعها الأنواع المختلفة من الكمنجة (فيولين– فيولين شيللو–كنتراباس وهكذا) وتتوقف تلك التسمية على عدد الآلات التي تشترك في توقيع اللحن أن ثلاثة أو أربعة أو خمسة الخ.

**زوناتة** (Sonata) عبارة عن سلسلة ألحان مرتبطة في معناها ومقسمة عادة إلى أربعة قطع تفصلها عن بعضها وقفات صغيرة وتختلف كل منها في سرعتها وفي ضرب وحدتها الموسيقية عن الأخرى ويشترك في توقيعها عدة آلات. وقد توضع في بعض الاحايين لتوقها آلة واحدة أو آلتان أو بعض آلات قليلة وفي تلك الحالة الأخيرة حالة وضعها لآلة كالبيانو أو آلتين أو ثلاثة إلخ فقد عربناها في الكتاب بكلمة فردية للبيانو أو ثنائية أو ثلاثية وهكذا.

**سنفوني** (Sinfonie) تشترك فيما سبق في وصف الزوناتة وتمتاز بتركيب مبناها الشعري بشكل أكبر وأوسع ويشترك في توقيعها آلات أكثر وتنتقل النفس أثناء توقيع ألحانها دائماً من سرور إلى مأساة.

**السنوفوني الشعري** عبارة عن الموسيقى ذات المنهج.

# الفهرس